

روايات عبر



هدية

فيوليت وينسبير

عاشقته



روايات عبر

HARLEQUIN - "AERI" - No. 0

أعزائي القراء،
تحيته طاهرة وقلوبه

لا شك انكم طالعتم الحقى قصصى الرومانسية
المنشرة في كل مكبات العالم العربى وحينما تباع
الصحف والجلات ولا شك انكم تتعجب بأوقات
حالة حلتكم خارج الواقع الى عالم العاطفة والشاعر
الاساية الخفية

وانى لا انعم إليكم بهذه القصة التي لكم
طالعة بعيدة وحظاً مشرقاً ودمعاً للمخلطة دانها.

عبر

RED ROUS

السودان	8 ر	البحرين	9 ر	الكويت	9 ر	السعودية	27 ر
U.K.	£ 1	تونس	9 ر	البحرين	9 ر	السعودية	27 ر
France	F 10	ليبيا	9 ر	البحرين	9 ر	السعودية	27 ر
Greece	Drs 120	البحرين	9 ر	البحرين	9 ر	السعودية	27 ر
Cyprus	P 1	قصر	8 ر	البحرين	9 ر	السعودية	27 ر

العنوان الأصلي لهذه الرواية بالانكليزية
LOVE'S PRISONER

١ - الايرلندي الأسمر

انظروا بقى غرفة الاستقبال التابعة لمنزل عائلة سميث، مدقاة الحطب
متعة ولحظ نلها يعلو. الاسطوانة تبت أغنية حب بصوت ناعم وعذب، بينما
داليا سبت متكررة حول وسائد الأريكة، تدندن مع الأغنية وتبتسم وتتذكر
ما حصل صباح هذا اليوم بين عنها هاري وزوجته سوزان. هذه الأخيرة
كانت تصر على زوجها أن يصطحبها في المساء خارج المنزل، وكانت داليا
تذكر مشهد ثنية والعمة سوزان تعلن بصوت مضطرب:

«أرجو أن أكون هنا عندما يأتي شيريدان لاصطحاب هيلين. إنه من
بعض حقيقة أنها لا أفهم لماذا تقنع له هيلين في المجال بوقاحة قابلة دعوتها. لا
يمكن للزواج ما أن يشعر بارتياح مع هذا الانسان المتكبر».

استعرض العم هاري على نظرة زوجته السلبية وقال:
«عنا بلك يا سوزان. اعترف أنني لا أحيد كلياً هذه الصداقة بين
هيلين و بيتر شيريدان، لكن لا يجب أن نحكم عليه مسبقاً. في كل حال إن
حكمتك في غير محله».

نظرت العمة سوزان إلى زوجها في مرآة المدخل وهي تعتمر قبعة صغيرة،
وكانت مضطربة، غاضبة فأضافت:
«وماذا تعني بالضبط؟»

© VIOLET WINSPEAR 1964
© 1982 Harlequin (Cyprus) Ltd.

حقوق التأليف: فيوليت وينسبير
جميع حقوق الطبع والنشر والاقتباس والترجمة محفوظة
لهارلكوين (قبرص) المحدودة

المراسلات:

Harlequin (Cyprus) Ltd.
29 Michalakopoulou St.
Athens T.T. 612, Greece

Printed in Great Britain by
Richard Clay (The Chaucer Press) Ltd, Bungay, Suffolk

«ليس شيريدان كبقية الشبان الذين تعودنا رؤيتهم هنا في المنزل، أليس كذلك؟ إنه يقلقك لأنه ليس واحداً من هؤلاء الشبان المتحذلقين الذين لا يذكرون إلا بالرقص والسباحة وكرة السلة. إنه رجل أعمال كبير، قاس وعنيد ولا يمكنه تجنب الظهور بظهر المدير، مثلها لا يمكنني تجنب الظهور بظهر مدير شركة التأمين. ماذا بإمكانه فعله إذا كانت الطبيعة وهبت بنية مشوقة متناسقة. يجعله مختلفاً عن معظم الذين تعودنا رؤيتهم؟»

أعجبت داليا بكلام عمها، لأن بيتر شيريدان يتمتع برجولة بارزة وأكيدة.

لكن العمة أصرت في عناد على القول:

«لا شك أنه رجل يتمتع بخبرة طويلة. إذ لا يمكن لواحد في السابعة والثلاثين من عمره أن يبدو بهذه المساواة ما لم يكن عاش حياة مليئة بالتجارب على أنواعها. لذلك لا أريد أن تعاشره إحدى بنات أخيك! لا شك أنه يتردد بصورة مستمرة على النوادي الليلية حيث يحصل كل ما هناك من أمور غير اعتيادية.»

ضحك هاري وقال:

«دعك من هذه الاحتمالات النافذة، يا سوزان. في أي حال إن هيلين فتاة ناضجة، تجاوزت الحادية والعشرين وهي قادرة أن تسهر على نفسها كما يجب. بينما لو كانت داليا هي المدعوة، لكان من حقلك أن تقلقي. يا زوجتي العزيزة.»
ولما تذكرت داليا هذا الكلام، ضاعت البسمة عن وجهها الذي أكفهر فجأة. وتناولت قطعة شوكولا ووضعتها في فمها بعصبية كأي فتاة في التاسعة عشرة. للأسف، إنها تبدو للغير وكأنها ما زالت تجهل كل شيء عن أسرار الوجود والحياة

في هذه اللحظة رن جرس الباب. نهضت داليا بسرعة إلى النافذة، وأزاحت

النظر لكتفها ثم ترأبيرة الصفحة أمام الباب. ولما فتحت الباب كان طوني يخرج حذاءه وتفتتها، وانحأ على العتبة.

«مرحباً يا طوني»

«نعم، ما تسأل عنها هذا يا فتاة؟ مشغولة، لكنها كانت تبدو في هذه

اللحظة كأنها دخلت طوني وأنها

خرجت طوني»

«يا فتاة، انظر قدامك للخروج.»

التفت داليا نحو غرفة الاستقبال وتبعها طوني حتى المدفأة وقال:

«جميع من هي دالة، هذا المساء؟ هل أعرفه؟»

كانت في حصة غير قاسية. تناولت داليا الملفاط وحركت النار في حجرة

حوية وعصية. وهي تفكر بأن الحب يحرم الانسان شهامته ويجعله مهرجاً، أو

عصية ترقص في طرف خيط تقع، تفقر ثم ترقص من جديد. أرادت أن تصرخ في

وجه طوني وتقول له: «لماذا تسمح هيلين أن تجرح شعورك بهذه الطريقة؟»

في لاوتون، عدد كبير من البنات، ربما أقل جمالاً منها، لكنهن لسن طموحات إلى

هذه الدرجة»

أوقفت الاسطوانة وحاولت أن تبدو متهاونة وهي تحدله عن بيتر شيريدان.

وبدا طوني مذهولاً:

«هل تسخرين مني، يا داليا؟ كيف بإمكان هيلين أن تتعرف إلى رجل كهذا.

هنا في لاوتون؟ إنه مدير أهم وأكبر مؤسسات الحمضيات في العالم.»

«أعرف ذلك تماماً. أنا من تعرف إليه أولاً.»

«أنت؟»

«حدث ذلك منذ أسبوعين. كان الثلج يتهمر عندما خرجت من مكتب عملي. وبينما

كنت أجتاز الطريق العام، انزلت، وسقطت... وتوقفت سيارة على مقربة مني وظهر منها رجل وحملتني بين ذراعيه. لم أفقد وعيي تماماً فعرفته في الحال، لأنني سبق وشاهدته على الشاشة الصغيرة في إحدى المقابلات. شعرت بهرج وأنا أنظر إلى عينيه وأسمع كلمات التوبيخ منه، إذ اتهمني بأنني كنت أجتاز الطريق وكأنني في حلم. وأنا اتهمته بأنه كان يقود بسرعة وكأنه في سباق سيارات! ددم طوني قائلاً:

«هكذا هي دائماً عجرفة العصاة، وماذا بعد، هل تصرف بلباقة وأوصلك إلى المنزل في سيارته؟»

«نعم ودعوتني إلى احتساء فنجان قهوة داخل المنزل.»

وهكذا تعرف إلى هيلين! «نعم»

بعد ذلك قامت داليا بإخبار طوني أن بيتر دعا هيلين إلى تناول العشاء وإلى حضور مسرحية في مدينة برايتون. كما أخبرته أنه فقيم في أحد فنادق الدرجة الأولى، بانتظار انتهاء معاملات شراء منزل فخيم في منطقة الداونز والمنزل المذكور قديم العهد وينوي بيتر شيريدان ترميمه وتجديده وإضافة جوفى مساحته إليه.

هس طوني بيد مرعجة وهو يشعل سيجارة وعينه الرماديتان تشعان غضباً.

«إنه ثري كبير، أليس كذلك... تلك سيارة فخمة ويرتدي الملابس الثمينة ويتردد إلى المطاعم والنوادي الفاخرة. ومن أكون أنا! شريك صغير في عيادة طبية ريفية، سيارتي صغيرة وقديمة وملابسي رخيصة وعادية...»

كان طوني شاباً نحيلاً، نظراته ذكية ولحيته شقراء ناعمة. يلعب شعره لمجرد

تساقط الشعر الكثيرة التي كانت داليا دائماً تداخري فيه عمتها سوزان تلك الزجر الصريح والهابط والجدير بالشفقة بالنسبة إليها إنه يملك كل الفضائل التي يجب أن تكون بالنسبة إلى هيلين بالذات، يمكن إهماله بسهولة...

صرخ طوني وهو يصرخ بعصية:

«ما هو هيلين منذ أن جئت تعيشان هنا بعد وفاة والديكما. لا يمكنني أن أغضب من أحسبي ومخاطبي بحرف، حتى ولو أنها تفعل ما تريد وتكذب علي كلما نسي ظالمك قد التفت بها أس في المدينة. ولم تخبرني عن هذا الرجل الجديد»

توقفت لحظة ورسمي رمة سيجارته في المدفأة وراح يتأمل وجه داليا الصغير يتجعد غملاً.

«ما كان يجب أن أحدثك عن كل هذا، يا داليا، لكن ليس هناك إنسان آخر يمكنني أن أصرحه بهذا الوضوح. وأؤكد لك أنني لم أعد أحصل كل هذه الأمور بعد طعن الكيل. بإمكانني أن أفعل أي شيء من أجل هيلين، تقريباً كل شيء. لكنني غير قادر أن أغادر لاونتون، إنها لا تأبه لوالدي الذي قام بتضحيات كبيرة كي أتكون من متابعة دراسة الطب وأعود إلى هنا لأصبح شريكاً في العيادة. إنها تسخر مني كيف أصر على البقاء هنا... يا داليا، لا يمكنني أن أترك آمالي والذي وأتركه وحده بعد موت والدتي، حتى ولو اضطرت أن أخسر هيلين»

«كلا، يا طوني، لا يجب عليك أن تتدخل عن والدك من أجل هيلين، أنت على حق في البقاء قريبه ولا يجب لهيلين أن تطلب منك الرحيل من هنا، عن لاونتون، إنها أحياناً تستعمل جمالها كسلاح»

هز طوني رأسه، مذهوشاً، إذ أدرك أنه برغم صغر سنها فإن داليا تملك

تفوقها وتبدو شقيقتها سطحية مقارنة بها.

«هل يعجبك بيتر شيريدان، يا داليا؟»

استدارت نحو المدفأة، كأن النار تسحرها وأجابت:

«وما أهمية ما أفكر بالرجال الذين تقابلهم شقيقتي؟»

«إن رأيك ثمين بالنسبة إلى يا داليا، أنت تتحلّين بحس مرهف وقدرة على استيعاب الأمور وفهمها أكثر من أي فتاة أعرفها، حتى ولو أنك ما تزالين صغيرة».

أجابت معترضة:

«أنا لست صغيرة! الجميع ما زالوا ينظرون إليّ وكأنني ما أزال في مريول المدرسة أعقد شعري الطويل ضفائر إلى الورا... منذ سنتين ولم أعد أرثدي المريول وقصصت شعري الطويل».

ابتسم طوني وهو يتفحص داليا من وراء دخان سيكارتة، شعرها القصير يبدو كبريش نحاسي صغير والنمش يملأ خديها المكورتين وأنفها الصغير المستقيم. ولها جاذبية التاتيل الخشبية.

«لا شك، يا داليا أنك كوّنت فكرة مسبقة عن شيريدان، صاحب الأموال الطائلة، أرجوك، ما رأيك فيه؟»

عقدت يديها وتحنّنت بيتر تحت الثلج، الذي كان يلمع في شعره الأسود، وفي ذراعيه اللتين حملتاها من دون أي جهد، وفي عينيها الخضراوين الساحرتين الجذابتين. تحلّلت تعبير وجهه الغامض...

أطلقت عليه أجهزة الاعلام لقب «القطب الغامض». وهذا اللقب يليق بيتر شيريدان، الصبي الأيرلندي اليتيم، الذي سافر إلى أقصى أرجاء العالم ليكون لنفسه ثروة كبيرة. في أيريفيا الجنوبية عانى قساوة الحياة التي يعيشها عامل

الصيد في سم البحر إلى أن أصبح يملك استثماراً صغيراً في أحد مصانع الرمي. لكنه ظل مصاباً من ذكريات طفولته البائسة، المليئة فقرًا والخيالية من أي حزن والتعب حصل ليرجع من شأن مركزه، فوضع نطاق أشغاله وانطلق في إنتاج الثريات الفخمة وعصر الفاكهة التي أصبحت مشهورة في أنحاء العالم.

بيتر شعر بوجع للجميع أنه من الممكن الوصول إلى أعلى قسم الشراء، انطلاقاً من لا شيء. لكن القصص التي تحاك حوله عامة ومبهمة. كان يقال عنه أنه حصل كثير من ماله الجميع، لم يبلغ الأربعين من العمر ومع ذلك لا أحد يعرف شيئاً عن حياته الخاصة. الناس معجبون بقدرته على جمع الأموال...

والسبب يحلّ إليه لأنه غني ويتمتع بجمال رجولي ذاك، لكن هذا «القطب الغامض» ما زال غريباً حتى الآن.

عنت داليا تقول:

«المرجل قدير جداً، لكنني لا أعتقد أنه سعيد كما يجب، يملك أموالاً طائلة...

لكن هذا لا يكفي، ما رأيك؟»

«أنا وأنت، نعرف أن ذلك لا يكفي».

أثقت داليا نظرة سريعة إلى وجه طوني الذي يختلف كلياً عن وجه بيتر الأسمر القاسي، لكنه إذا ابتسم يظهر تجميدة ساخرة وقالت وهي تبتسم أيضاً:

«لا يجب أن تلومه إذا أراد أن يصطحب هيلين إلى السهرة، الليلة واحدة، إنها فتاة سليمة ومرحة».

«ربما أراد أكثر من سهرة واحدة، ربما وقع في غرامها».

«نعم... إنه وحيد و هيلين فتاة رائعة، عندما يكون المرء وحيداً، يصبح الحب كالوباء يفتك بالجسم الضعيف، يلتقطه من دون أن يعرف ما يحدث له».

قال طوني ساخراً:

«من يسمعك يعتقد أن الحب كالزكام. في أي حال، ماذا يمكن لفتاة صغيرة مثلك

أن تعرف عن الحب؟»

«إني... يمكنني أن أتصور...»

انجرت وجنتاها مما جعل طوني يقول:

«هل هناك أسرار تخفيها عنا، يا داليا. هل أنت مغرمة بأحد موظفي شركة

الضمان الاجتماعي حيث تعملين؟»

«يا إلهي، من أين لك هذا. ليس لدي أحد.»

«ألم يسبق أن استدعك أحد أو دعاك للخروج معه؟»

«شكراً، أنا لا أريد أن يحدث ذلك. إن الرجال العاملين معي ليسوا سوى مجموعة

تافهين يرتدون لروية أي امرأة تفرقهم.»

«أنت أنسنة رائعة يا داليا وخاصة عندما تلمع عيناك السمران الكبيرتان

استغراباً.»

قالت ضاحكة:

«كعيون الكلاب.»

«على فكرة، أنت تشبهين قليلاً هيلين. لم ألاحظ ذلك من قبل.»

وضعت داليا يدها على خدها وداعيت بشرتها الحزيرية وقالت:

«لم يخطر في بالي أننا متشابهتان. هيلين فتاة ديناميكية، بظلة وساطعة.»

قال طوني وهو يشد شعرها:

«أنت حاذقة يا داليا. اننا مختلفان كلياً. أنكما كالماء والشراب.»

«أنا كالماء. أليس كذلك؟»

«نعم، وهيلين كالشراب الحار تطلع إلى الرأس وتجعل الواحد يفقد توازنه»

تبعها أدانت صدره السلس واضحاً، نقية، بريئة، تنيرين الاحلام

المتوهجة.

في سكرته في الفتاة بحركة غاضبة وقال:

«من الأفضل أن أقع قبل أن يصل المليونير الكبير.»

تكررت لفظ طوني كلماته هذه حتى رن الجرس. فتحاشت داليا النظر

إلى ما كانت توجه نحو الباب. وما أن وصلت إلى المر الضيق حتى سمعت

حدث ثوب حريري. فزلت نظرها إلى السلاالم حيث وجدت هيلين واقفة

الطلة حيث تحطت الأظفار وترنق فتناً حريراً بلون الورد. استعارته من

المر حيث كانت تعمل كيككة وعارضة أزياء. وخيل لداليا إن شقيقتها

خرجت من إطار لوحة فنية.

«حب يدخل.»

انظرت هيلين على رأس المرح. مستعدة لأغراء بيتر متى اجتاز العتبة.

يجال خلف حافته حدث داليا على أختها التي تنصب شركاً لينسج

وتجسس بلا ملاحظة أحاسيس طوني غريب. فاسرعت تفتح الباب وتوارت وراءه

تلازم بيتر سوى هيلين حين يدخل. لكن الذي حدث كان عكس ذلك.

فدق بيتر ظهر إلى داليا التي ارتبكت وشحب وجهها. وقالت:

«سأه المحي يا سيد شيريدان.»

«سأه القبح ماذا جرى لك؟»

كان صوته وقوراً ولهجة أيرلندية بحتة. ظلت داليا صامتة، فأضاف:

«تتبعين متعة يا داليا. هل تعملين ساعات إضافية في مركز الضمان الاجتماعي؟»

«حالياً لدينا أعمال كثيرة... كما أنني أحصل على راتب إضافي... لا شك أنني

بحاجة إليه.»

قال ساخرأ رافعاً حاجباً واحداً:

«أنت؟»

ثم التفت نحو هيلين التي كانت تهبط السلالم بهدوء وثوبها الحريري الطويل يحير وراء سترة من القرمز كانت تبدو كأنها تملك كثيراً من هذه الملابس الفاخرة. وكأنها لم تستبدل المال اللازم من داليا لاستئجار هذا الثوب. فالواقع إن كل ما تحصل عليه لا يكفيها ثمناً لهذا الثوب وهي دائمة الاستدانة «من العادة أن يمدح القارس رفيقته المدعوة...»

كان صوتها مبحوحاً وغريزياً وعيناها الياقوتيتان تنأملان معطف بيتر الأنيق الرمادي الداكن.

«هل أنا مناسبة لك يا بيتر؟»

«هل هناك كلمات فاحشة على وصفك؟»

اجسم بسخرية وقدم لها علبة وقال:

«ياقة القرنفل هذه عزيزون مديح يا هيلين»

«قرنفل يا بيتر؟»

لمعت عينا هيلين فرحاً عندما تناولت العلبة وتوجهت إلى قاعة الاستقبال لحقت بها داليا وراحت تنظر إلى شقيقتها وهي تفتح العلبة وتخرج منها باقة القرنفل المضلعة بالذهب.

«إنها رائعة يا بيتر»

فمس طوني قائلاً:

«وأنت رائعة أيضاً»

التفتت هيلين بسرعة وقالت:

«أوه... إنني... لم أرك»

«أنت؟»

«أنت؟»

«أنت؟»

«أنت؟»

«أنت؟»

«أنت؟»

«أنت؟»

«أنت؟»

«أنت؟»

«أنت؟»

«أنت؟»

«أنت؟»

«أنت؟»

«أنت؟»

«أنت؟»

«أنت؟»

«أنت؟»

«أنت؟»

«أنت؟»

«أنت؟»

«أنت؟»

بسهولة وتبدو بريئة كبت صغيرة لا تعرف أن تميز بين الخير والشر.

فقال طوني:

«هذه التمثيلية الالمانية تبدو لي واهية ومتعثرة. هنا سندريللا... هيلين طبعاً. وهناك فتى الاحلام. لكن ما هو دور داليا في هذه التمثيلية؟»
ثم سأل داليا وهو يتسم:

«أي دور تلعبين هنا، يا داليا، لست بكل تأكيد إحدى الشقيقتين!»

قالت هيلين وهي تقرب من بيتر وتأخذ بذراعه:

«إنها ساحرتي. هي التي طرقت الباب الخفي الذي انفتح على فتى أحلامي.»

كان بيتر يتأملها في سخرية ويقول:

«إذا كانت ذاكرتي لا تخونني، اعتقد أن سندريللا كانت فتاة خجولة.»

أجابت هيلين من دون اضطراب:

«أه، إن الأمور تغيرت مع مرور الزمن. في أيامنا، تعرف سندريللا ما تريد»

ولا تشكل على إضاعة إحدى زوجي أحديثها.»

قال بيتر ساخراً:

«يا للأسف، كنت أفكر ذاتاً إن ذلك هو الجزء الأكثر جمالاً في القصة.»

قالت هيلين في استغراب:

«لا تقل لي أنك تحب القصص الخرافية!»

قال رافعاً أحد حاجبيه:

«وأنت ألا تحبينها؟ لا تنسي أنني رجل إيرلندي. منذ الصغر نتعلم أن نؤمن بأن

العفريت يخرج في الليل ليحرضنا ويضلنا.»

وللحال تهففت هيلين ضاحكة وشعرت داليا أن نظرات بيتر مخدئ

فيها وفي شعرها القصير وجسمها النحيل، فاقتربت من طوني الذي لم يكن

محركاً يروح يروح يروح يروح

يروح يروح يروح يروح يروح يروح يروح يروح

يروح يروح يروح يروح يروح يروح يروح يروح

يروح يروح يروح يروح يروح يروح يروح يروح

يروح يروح يروح يروح يروح يروح يروح يروح

يروح يروح يروح يروح يروح يروح يروح يروح

يروح يروح يروح يروح يروح يروح يروح يروح

يروح يروح يروح يروح يروح يروح يروح يروح

يروح يروح يروح يروح يروح يروح يروح يروح

يروح يروح يروح يروح يروح يروح يروح يروح

يروح يروح يروح يروح يروح يروح يروح يروح

يروح يروح يروح يروح يروح يروح يروح يروح

يروح يروح يروح يروح يروح يروح يروح يروح

يروح يروح يروح يروح يروح يروح يروح يروح

يروح يروح يروح يروح يروح يروح يروح يروح

يروح يروح يروح يروح يروح يروح يروح يروح

يروح يروح يروح يروح يروح يروح يروح يروح

يروح يروح يروح يروح يروح يروح يروح يروح

يروح يروح يروح يروح يروح يروح يروح يروح

يروح يروح يروح يروح يروح يروح يروح يروح

يروح يروح يروح يروح يروح يروح يروح يروح

وأبي، لا يمكن للإنسان أن يعيش كما يجب إذا كان لا يملك المال... المال الوافر
وعندما يملك الإنسان مالاً كثيراً، يحترمه الآخرون، وإذا كان لا يملك المال، يعتبر
لا شيء.. لا فائدة للجمال إذا لم يستطع الإنسان أن يظهره في الأماكن الأنيقة.
وفي ملابس رائعة... داليا، لقد رأيت رجالاً ينظرون إلي، إنهم يعترفون بجمالي
وهذا سحرني للغاية، أكثر من الشراب الذي شربناه».

لم تتمكن داليا من عدم الضحك لفرح شقيقتها الطفولي. لاشك أن ذلك
طبيعي، إن تريد شقيقتها الجميلة والجدابة فساتين رائعة وإعجاب الغير بها.
لكن هل تريد الحب؟ هل يرغبها بيتر؟
تفجست هيلين شقيقتها الصغيرة كأنها عرفت ما يدور في ذهنها، ثم
أعلنت تقول في جدية:

«بيتر، يريد ربة منزل أنيقة تدير هذا المنزل الكبير الذي اشتراه، يريد لعبة جميلة
بإمكانه أن يلعبها ويعرضها وبإمكانه أن يتصلى معها، إن أكون لعبة بيتر
سيريدان، هذا لا أمانع فيه... طبعاً إلى جانب الناحية المادية في الموضوع».

ابتسمت هيلين ونظرت إلى يدها اليسرى الناعمة كأنها ترى في أصبعها
خاتم الماس الرائع.

وداليا توجهت إلى جهاز الأسطوانات واختارت أسطوانة ناعمة وعاطفية
وضعتها وملأت الموسيقى الغرفة، اقتربت هيلين منها وأسكتها من خصرها
وقالت:

«أنت من طراز قديم، أليس كذلك، يا حبيبتي؟ ما بك؟ هل بيتر يخيفك؟»
«لماذا تعتدين ذلك، إنه يعتبرني تلميذة صغيرة وعلى هذا الأساس يعاملني».
أصرت هيلين ضاحكة وهي تقول:

«أعتقد أنه لا يعجبك تماماً، إنه ممسوق أكثر من اللزوم، إنه أيرلندي أسمر».

«بيتر، لا يمكن للإنسان أن يعيش كما يجب إذا كان لا يملك المال... المال الوافر
وعندما يملك الإنسان مالاً كثيراً، يحترمه الآخرون، وإذا كان لا يملك المال، يعتبر
لا شيء.. لا فائدة للجمال إذا لم يستطع الإنسان أن يظهره في الأماكن الأنيقة.
وفي ملابس رائعة... داليا، لقد رأيت رجالاً ينظرون إلي، إنهم يعترفون بجمالي
وهذا سحرني للغاية، أكثر من الشراب الذي شربناه».

لم تتمكن داليا من عدم الضحك لفرح شقيقتها الطفولي. لاشك أن ذلك
طبيعي، إن تريد شقيقتها الجميلة والجدابة فساتين رائعة وإعجاب الغير بها.
لكن هل تريد الحب؟ هل يرغبها بيتر؟
تفجست هيلين شقيقتها الصغيرة كأنها عرفت ما يدور في ذهنها، ثم
أعلنت تقول في جدية:

«بيتر، يريد ربة منزل أنيقة تدير هذا المنزل الكبير الذي اشتراه، يريد لعبة جميلة
بإمكانه أن يلعبها ويعرضها وبإمكانه أن يتصلى معها، إن أكون لعبة بيتر
سيريدان، هذا لا أمانع فيه... طبعاً إلى جانب الناحية المادية في الموضوع».

ابتسمت هيلين ونظرت إلى يدها اليسرى الناعمة كأنها ترى في أصبعها
خاتم الماس الرائع.

وداليا توجهت إلى جهاز الأسطوانات واختارت أسطوانة ناعمة وعاطفية
وضعتها وملأت الموسيقى الغرفة، اقتربت هيلين منها وأسكتها من خصرها
وقالت:

«أنت من طراز قديم، أليس كذلك، يا حبيبتي؟ ما بك؟ هل بيتر يخيفك؟»
«لماذا تعتدين ذلك، إنه يعتبرني تلميذة صغيرة وعلى هذا الأساس يعاملني».
أصرت هيلين ضاحكة وهي تقول:

«أعتقد أنه لا يعجبك تماماً، إنه ممسوق أكثر من اللزوم، إنه أيرلندي أسمر».

٢ - الطريق إلى منزل الحلم

و ذات يوم رافقت هيلين بيتر إلى سباق الخيل وتعرفت إلى غاري كونيواي الذي عاد معها إلى منزل عائلة سميث. إنه يبلغ من العمر ثلاثة وعشرين عاماً وهو عازف بيانو ذو موهبة رائعة ومستقبل فني واعد. وذلك بفضل بيتر شيريدان الذي اختطفه بعدما فقد والده في أفريقيا في حادث مؤسف، وكانت أمه أيضاً متوفاة.

فيا بعد أخير غاري داليا أنه كان لا يزال في سن المراهقة عندما توفي والده ومن ثم عاش في كتف بيتر الذي أمن له تعليماً متيناً وامكانية أكمال دراسته الموسيقية. أنه يكن لول أمره تصديراً صادقاً وهذا كان أبرز بذور الصداقة التي بدأت تتفتح بينه وبين داليا.

نحافته وابتناساته المترددة وعيانه الرماديتان وشعره العاصي، كل هذا كانت العمة سوزان معجبة به. استقبلته في منزلها بطيبة خاطر، ولم تظهر عن اشتزاز أو حذر كما فعلت تجاه بيتر أو «القطب الغامض». وهذا الأخير إنسان كريم كما اعترفت أخيراً سوزان، إذ يبدو كأنه يرحم ويتسلل وهو يقدم هيلين جرعة من هذه الحياة العصرية التي كانت داليا تحلم بها. كذلك وقع مع العم غاري عقود تأمين لا بأس بها. ومع ذلك فها زالت العمة تعتبره إنساناً خطراً... خاصة عندما يظهر بقامته الطويلة بين الستائر القطنية الموشاة والأنيب المزخرفة في قاعة

التي كانت تسمى «الغرفة» داليا أنها تشعر بارتياح كبير لاختيار بيتر هذا. «لأنه» داليا أن بيتر أكثر معرفة بأمور الحياة من

«صحيح» داليا من حين أن ترفع نظرها عن الكتاب. «لأنه» داليا أن بيتر أكثر من طويلاً. «صحيح» داليا أن بيتر أكثر من طويلاً. «صحيح» داليا أن بيتر أكثر من طويلاً. «صحيح» داليا أن بيتر أكثر من طويلاً.

«صحيح» داليا أن بيتر أكثر من طويلاً. «صحيح» داليا أن بيتر أكثر من طويلاً. «صحيح» داليا أن بيتر أكثر من طويلاً. «صحيح» داليا أن بيتر أكثر من طويلاً.

«صحيح» داليا أن بيتر أكثر من طويلاً. «صحيح» داليا أن بيتر أكثر من طويلاً. «صحيح» داليا أن بيتر أكثر من طويلاً. «صحيح» داليا أن بيتر أكثر من طويلاً.

«صحيح» داليا أن بيتر أكثر من طويلاً. «صحيح» داليا أن بيتر أكثر من طويلاً. «صحيح» داليا أن بيتر أكثر من طويلاً. «صحيح» داليا أن بيتر أكثر من طويلاً.

«صحيح» داليا أن بيتر أكثر من طويلاً. «صحيح» داليا أن بيتر أكثر من طويلاً. «صحيح» داليا أن بيتر أكثر من طويلاً. «صحيح» داليا أن بيتر أكثر من طويلاً.

«صحيح» داليا أن بيتر أكثر من طويلاً. «صحيح» داليا أن بيتر أكثر من طويلاً. «صحيح» داليا أن بيتر أكثر من طويلاً. «صحيح» داليا أن بيتر أكثر من طويلاً.

من الأسباب التي جعلته يشتري بيتاً في إنكلترا، إذ أنه يريد أن يبدأ حياة جديدة هناك.

«نعم، إنه إنسان طيب، فيا يختص بغاري. لكنه ما زال يحيرني. مثلاً، حين صبحكم ألا تعتقدون أن ضحككم خبيثاً. لا يمكن لأحد أن يعرف ما هي وراءها».

«إنه وقع. لكن ذلك هو قناع خلفي وراءه أحاسيس صعبة. إنه نوع من نوع يخفي فيه».

«هذه هي».

لا يمكن لعشها أن تستوعب القول بأن بيتر فيريدان في حاجة إلى حبة من حبة.

«إنه قاس كالخجر وعلى هيلين أن تحذر منه. إنها تعتقد بأنها تستطيع السيطرة على أي رجل كان، ولجعلها خاضعاً لأوامرها. لكن إذا حاولت أن تفعل الشيء نفسه مع هذا الرجل، سوف تعض أصابعها فدامة. هو الذي يسيطر عليها وهذه السهرات والزهور والهدايا، ليست سوى مظاهر خادعة».

اعترضت داليا وقالت:

«بيتر ليس هكذا! إنه لا يحاول إغراء هيلين».

«لا... أعتقد أنه يريد أن يتزوجها، وهذه الفكرة كافية لجعل هيلين... من أجلها ومن أجله هو أيضاً، إنه نافذ الصبر غير قادر أن يعرف أنها جشعة. لكن هل تفهم هيلين أنها متى تزوجه، فلن يقبل منها أي تسوية؟ سيهبها المجوهرات والفساتين الأنيقة، لكنه سيطلب بحقه. سيتصرف كزوج يعني الكلمة ويفوت على هيلين الأوان كي تعود من جديد إلى طوبى».

تحدثت داليا بحبيها الواسعوتن وقالت:

«هذه هي».

«هذه هي».

«هذه هي».

«هذه هي».

«هذه هي».

«هذه هي».

«هذه هي».

«هذه هي».

«هذه هي».

أشياء مختلفان كلياً عن يدي الرجل الذي أوصلها مرة إلى منزلي تحت الشجر.
أصابت تقول:

«لا شك أنه يشعر بالمتان واكتفاء لأنه أصبح في المجال أمام شاب موهوب مثلك أن يتفلق ويتفتح».

«يخيل إلي أحياناً أن بيتر يقدم لي الأشياء التي لا بد أنه كان يرثب بالمحصل عليها عندما كان في مثل سني. إنه ذكي جداً ولعله يفضل لو تسنى له متابعة الدروس الجامعية واختيار مهنة بدلاً من الانطلاق بالرغم عنه في خضم الأعمال الضخمة. ذلك أثر فيه وجعله قاسياً ووقحاً. الحرمان في طفولته جعله يرثب في الاستمرار المادي، لكن في طريق تحقيق ذلك، لا شك أنه جمع أوهاماً عديدة حول الناس».

وقهت دالياً أن ما يقصده غاري في حديثه هذا هو موضوع النساء، تلك العواصم الكبرى في العالم، اللواتي يبحثن عن اهتمام بيتر بهن وعن هداياه لهن. ولم يسألن مرة ما إذا كان يملك قلباً يريد أن يتقاسمه مع أحدهن...
انحطفت السيارة في منحطف طويل محاط بالأشجار الكثيفة. ثم توقفت أمام ساحة المنزل الجديد الذي دعاه «بالتقدير».

والمنزل من طراز قديم، فتناطره وتوافقه مؤلفة من سرعات صغيرة. إنه منزل العلم والنباتات المتسلقة تصل حتى السقف المبني من الفس المذهب.

قال غاري وهو يتشم:

«أعتقد أن هذا المنزل يذكره بأفريقيا الجنوبية، حيث يملك منزلاً صغيراً ذا سقف خش وشرقة واسعة من البلاط الأحمر. هذا المنزل أصغر، لكن لا يتقصده شيء من السحر والجلابية. ما رأيك أنت».

لم تجد داليا الكلمات المناسبة لتعبر عن اندفاعها وانفتاحها. إن بالتقدير

أصابت حديثها بحكماً على أعمال منكم في أعماله الكثيرة وعزلة بعيدة عن
صوت البحر والليل.

أخبر بيتر في لندن يعقد مع أحد شركائه صفقة جديدة، فلعب
أخيراً دور صاحب المكان وأخذ داليا في جولة تفصيلية داخل وخارج
البيت. فوجدت الأثاث القديم الأثيق والسجاد العجسى المتناسق. كان الديكور
أبسط وأجمل.

أولت في غرفة الموسيقى التابعة لغاري وكانت داليا جالسة في
مركزها. غاري يعزف على البيانو آخر مؤلفاته الجديدة. كانت أصابعه
تلمس أوتار البيانو و داليا تصغي كأنها في حلم وتناقل من خلال النافذة
خرج النخل والماشية المتجولة فيها. وأصبحت السماء بلون الوردة الضبابي. وبدأ
الشمس يلا الجبل.

في توهجت الموسيقى. رأت صوت طويل. أخبراً حسن غاري قائلاً:

«جاء رأيك يا داليا».

أدبرت وجهها وأطلقت زهرة صغيرة وقالت:

«هل أطلقت أسماً على هذه المفلطحة».

أجابها وهو يرفع شعره عن جبينه:

«تدعى حورية الغاب. وأنت من ألهني بها».

انقضت داليا قليلاً ثم نهضت وركضت إليه لتضمه بين ذراعيها وتقول:

«إنه لمن جميل أحببت. وإنني أشعر بالأطراء كوني أنا صاحبة الاطعام».

«أنت أستحق أكثر من هذا».

كان يتشم في خجل. فجأة أجلسها قريباً ودعاها إلى أن تبقى مكانها وقال:

«أعتقد أنني سأظل سجينك حتى أعطيك قلبك».

طبعته غيلة صغيرة على خد غاري الذي ضمها إليه في شدة. وفي هذا الوقت بالذات انفتح باب غرفة الموسيقى وظهر شبح طويل ثم توقف. فابتعدت داليا عن غاري وصرخت وهي تقف مباشرة:

«سيد شيريدان»

مد غاري يده وأشعل الضوء الذي يعلو البيانو وقال:

«مساء الخير يا بيتر. اعتقدت أنك ستبقى في لندن حتى نهار الثلاثاء»

«جئت لأجلب الأوراق التي سأحتاج إليها غداً في اجتماع مجلس الإدارة. سأعود إلى لندن في المساء»

«عندما أذكر بحاستك واندفاعك أشعر بالتعب مكانك. أنك تهق نفسك كثيراً وأنتها أحجوبة إذا لم تنهار بعد»

«لاني رجل متين ولا أنهار»

التي بيتر شيريدان نظرة خاطفة إلى قميص داليا الأبيض وتنورتها الحمراء. ثم دفع نظره إلى وجهيها المحمرتين خجلاً فوق النش. وتوقف هناك طويلاً قبل أن يسأله:

«ما رأيك بهذه الفيلا»

أجابته في حيرة:

«لا شك أنها رائعة»

قال غاري في تعجب:

«هذا المحدث هو الأهم. هذه السنة. داليا وقعت في غرام هذا المنزل. حينما كانتا تلعبان فرحاً واندفاعاً عندما وافقتهما في جولة وخارج المسكن»

هز بيتر حاجبيه وابتسم وقال:

«يجب الاحتفال بتدشين المكان وإقامة حفل منى أخيت الأعمال في حوضي

البحر. سيقام حفل كبير في الحديقة. وسأكون أنا أيضاً. وأنت يا داليا.

«أنا أيضاً»

«أنا أيضاً»

«أنا أيضاً»

«أنا أيضاً»

«أنا أيضاً»

«أنا أيضاً»

«أنا أيضاً»

«أنا أيضاً»

«أنا أيضاً»

«أنا أيضاً»

«أنا أيضاً»

«أنا أيضاً»

«أنا أيضاً»

«أنا أيضاً»

«أنا أيضاً»

«أنا أيضاً»

«أنا أيضاً»

«أنا أيضاً»

«أنا أيضاً»

«أنا أيضاً»

«أنا أيضاً»

شكراً يا سيد مدير دار..

قال ساعراً

هل أنت خجولة لماذا لا تتأديني بأسمى الأول مثلاً نحن صديقان منذ وقت

شوط

جسداً سادعوك بيتر..

«هذا أطف بكثير»

انهم وجلس في مقعد قبالتها وأسند رأسه إلى مسند المقعد المخفي الأحمر

وقال

«بما يصير في الامكان استعمال حوض السباحة يجب أن تأتي لقضاء عطلة

نهاية الأسرع لتدشينه مع غاري هل أنت عضوة في النادي الرياضي مثل

هيلين

أجابت مبسطة

«كلاهما ولا حتى في الدائرة المسرحية. إني من النوع الذي يحب الغزل»

«أف..»

التي نظرة حاملة إلى غاري ثم طلب منه أن يعزف له مقطوعة على البيانو

قبل أن يحدد موعد عودته إلى لندن.

جلس غاري أمام البيانو وعزف القطعة التي ألفها وسياها: حورية

الغاب.

وبينما كان غاري يعزف مقطوعته كانت داليا تتأمل يشر الجالس

قبالتها كان يدخلن السيكار ويصفي يهدوه إلى المعلن الذي ينبع من بين

أصابع العازف الموهوب. ولما تفرقت الموسيقى. هز رأسه كأنه يؤكد لنفسه أن كل

ما صرفه على غاري قد وفاه هذا الأخير بالملات.

«أنت لا تطرحه كثيراً هل وجدت لها عنواناً»

«أنا غاري العنوان. رأيت داليا في عيني بيتر نوعاً من الزينة

من هذا النوع. تأمل قدميها النحيلتين نصف الممدودتين على المقعد العريض

سرعها الصغير وأنها المشى. وأرتجفت ابتسامة صغيرة على زاريتها فسه ثم

بصر وأعلن أن موعد عودته قد جان. مديته إلى داليا وساعدها على الوقوف

«أنا

سحب الأوتار التي جنت من أجلها وسأوليك إلى السيارة»

«أنا غاري ليطلب سترته من فاعة الموسيقى وأوصل داليا إلى سيارة

بيتر التي كانت تلعب تحت ضوء القمر. وضع يده على خصرها في شكل جيم

«أنا

«هل تتوحد معي نهار الأربعاء إلى حضور مسرحية»

«أنا تريه»

«أنا تعريتي أني أريدك معي دائماً»

«أنا غاري تحوها وأجست بقشعريرة شعر جسدها ووجدت نفسها بين

«أنا غاري تقلصت بعض الشيء. لا كانت تعرف أن بيتر سيطلق في أي

قطعة وبراهما.

«أنا غاري أرجوكم»

تقلعت داليا فتصحب غاري وهو يشدها إليه وقال:

«إن بيتر يعرف تماماً ما يحدث بيننا. يا حبيبتي. وما عليك إلا أن تترقبني عن

الارتعاش مثل سكة في شبكة الصياد»

صرخت داليا في جنون:

«بيتر يعرف... ماذا تقصد».

«لا شك أنه تخيل أن شيئاً ما يدور بيننا. ألم تلاحظي كيف يراقبنا في قاعة الاستقبال. أنا أعرف ذلك من إيماءاته وأعرف أنه سعيد لذلك».

«قالت داليا في صوت ساخر عندما حاول غاري أن يعانقها: «لا تقضي الليل كله هكذا».

أفلتت داليا من بين ذراعي الرجل وحيته باختصار ودخلت إلى سيارة بيتر. وضع بيتر حقيبته في صندوق السيارة وجلس أمام المقود. وبعد دقائق كانت السيارة تجتاز الممر الطويل. وكان بيتر يقود في صمت وبسرعة. وبعد أن قطع مسافة طويلة، قال:

«إني أحب هذه المنطقة من انكلترا. هنا، كما في أفريقيا، النجوم تبدو كأنها واقفة على رؤوس التلال».

لاحظت في صوته خنياً وعرفت أنه يعتبر أفريقيا الجنوبية وطناً له. فسألته: «هل تنوي البقاء مدة طويلة هنا في انكلترا».

«الوقت اللازم لإطلاق العمل الجديد. لكن مزاجي مضطرب وأفضل الطقس الأفريقي. كما أن مركز أعمالنا هناك، ولا يجب على المدير أن يبقى متغيباً لوقت طويل».

ابتسمت وهي تتخيل تماماً الأفريقيين السود وهم يشادون بيتر سيدي المدير... إن في داخله أشياء مرعبة، لكنها كانت متأكدة أن العاملين لديه يحبونه كثيراً. فهو مثلهم. عمل ووصل إلى هذا المركز بمرق جبينه. إنه يعرف تماماً ماذا تعني الأيدي الخشنة والمناكب الآليمة.

سألتها فجأة:

«أأنت مستغربة لأنني اخترت شراء منزل في انكلترا بدلاً من أيرلندا».

«لا... ليس تماماً... يا بيتر ليس جديلاً أن يتذكر الإنسان باستمرار طفولته الحقة».

«صحيح! إن فيللا يقدّر رائعة، أليس كذلك، إني أعشق المنازل ذات السقوف المصنوعة من الفس».

«حشني غاري عن منزلك في أفريقيا الجنوبية. لا شك أنه جميل ورائع».

وبما كانت داليا تتحدث كانت تتصور ردة فعل هيلين متى علمت بأن بيتر ينوي العودة إلى أفريقيا. إن داليا تعرف أن مشاريع أختها أن تسافر إلى روما وتنشئ على شواطئ كورفو، وتسهل في السواحل الليلية في مارس...

لا يد أن يكون منزل بيتر في أفريقيا الجنوبية واقعاً في منطقة صحراوية فارغة، لأن ثروته الطائلة لم تفقده حبه الفطري للوحدة. وعليه أن يكون مغرمًا حتى النهاية كي يقبل بالزواج من المرأة التي يحب... لكن من ناحية ثانية فالمرأة التي يستحبه كما يجب ستكون سعيدة بالخضوع له.

أوقف السيارة فجأة في أعلى جبال الداونز وراحا يتأملان معاً ضوء القمر ورجع التلال والنجوم العديدة المنتشرة في السماء.

على

«شعر الواحد هنا بالتواضع... إلى درجة أنه ينسى هموم الحياة ويضع الجهد جانباً».

فوجئت داليا والتفتت به وفي العتمة خيل إليها أن في قلبه شيئاً مؤلماً ومترسلاً... سألته:

«أأنت خراً لتفعل ما تريد».

«لدي التزامات كثيرة، يا داليا. استلمت زمام جميع مؤسسات شيريدان ولا

أجروا على التخلي عن هذه المسؤولية. وليس هذا عائداً لخطرتي... إذا هذا هم
مخططي وأنا مضطر أن أسير فيه»

إنها مسألة عمل. وهذا ما يعاني منه الكثيرون، على ما أظن»

نعم. في أفريقيا مشاكل عديدة. لكن فتاة مثلك لا يمحى أن تصغي إلى كل
هذا

نظر إليها وراح يتأملها ويقول:

«ذلك البلع كان خطأ سعيداً لنا نحن الاثنين. أنت تعرفت إلى غاري وأنا إلى
هيلين».

هزت رأسها وهو أفلح بالسيارة. ولما وصل إلى منزل سميت، أوقف السيارة
أمام الباب الحديدى وطلب من داليا أن تقول: طيلين. أنه سيتصل بها من
لندن. ولا تعرف لماذا، بعد أن ابتعدت السيارة، تهاها أن بيتر ينوي طلب
يد شقيقها.

الأيام التالية كانت ضيقة وقاسية في مركز الضمان الاجتماعى. كانت داليا
تعمل كمسكر بترية المدير المسؤول عن مساعدة العجزة الذين يفتنون البلدة. وقد
صدر عن المسؤولين تصميم جديد سيجعل سكان المنازل القديمة يهجرون منازلهم
التي ستهدمها البلدية. واضطرت داليا أن تقوم بجولة على هذه المنازل برفقة
رب عملها. وتأثرت كثيراً. وهي ترى حزن هؤلاء العجزة عندما علموا بأن منازلهم
ستهدم وسيقلون إلى شقق صغيرة في العاحسة.

هذه الشقق الصغيرة تحتوي على شرفات، لكنها من دون حدائق، ولا فسحات
أقام المداخل حيث يمشون أوقاتهم في الأحاديث فيما بينهم. يتذكرون فيها أيام
التياب.

«لست أعرف كيف يمكن أن يهدموا

ويجبرونهم على

الذهاب إلى شقق صغيرة في شوارع ضيقة

في وسط المدينة

أنا أعرف ذلك جيداً. خيلاً عن القلق وأحباطات

من هذا النوع. كل الرجال سيحبون من أنكلترا ولن يبقى لدينا إلا الأسنث.

التي ستبقى التوضيح أن هؤلاء العجزة، إضافة إلى منازلهم، سيخسرون حيواناتهم،

التي هي لهم بعد مماتهم. أن تطلق في شقق صغيرة خالية من الحدائق. والسيدة

تريد. سيحطم قلبها إذا استغثت عن هرتها الرائعة. إنها هدية من أبيها

التي هي لها قبل أن يذهب إلى الحرب حيث سقط شهيداً».

لقد كان هؤلاء العجزة أفضل الساكن المكنة. هل تمت زيارة الشقق، يا

داليا. إنها ضيقة وعسيلة أكثر بكثير من هذه المنازل القديمة الأثرية».

استمع للنفس الذي أن يقوم بترميمها وتجديدها بدلاً من هدمها».

استمر أن تكوني فتاة خالصة يا أخته. سيبت».

سنتي ذلك أنا أيضاً».

وبعد مرور خمسة عشر يوماً قرر بيتر تدشين منزله الجديد بإقامة حفل

أوكل مهم تنظيمه إلى هيلين المتعممة والمتهلفة لرجاً. كانت قد تعرفت إلى

بعض أصدقاء بيتر من طبقة رجال الأعمال ولأنه المدعوين طويلة ومشيرة.

كما دعت عدداً كبيراً من الأصدقاء لكنها لم تدع من عائلتها سوى عمها وعمها

و داليا

اعترضت العمة سوزان على هذا الأمر واتهمت هيلين بالعجزة

والتمناخ. فأجابته هيلين معترضة:

«أنا لست فتاة متفخرة، لكن كما سبق ولقيت انشباك، إن بيتر يعاشر الناس الأثرياء والأنيقين والمثقفين، ولذلك من المستحيل أن أَدعوا العمة ميري وزوجها المسكين، إذ لا يمكنهما أن يندمجا في جو الحفلة. أنا لا أريد أن أضر بالحفل فجاء أصدقاء ومعارف بيتر... هناك أمور كثيرة يجب أن أتداركها. ربما سنستقبل كلّه متعلق بالموضوع».

«إذا كان بيتر شيريدان يحبك يا ابنتي، قلن يؤثر ذلك على حبه ولو عائلتك تنسحب إلى الطبقة العاملة. هو أيضاً كان متواضعاً في بداية حياته».

أعلنت هيلين وهي تضع يدها على اليروش الذي أهدها لها بيتر والذي يتناسق مع لون عينيها:

«إن ذكاء بيتر وطموحه ساعداه على الخروج من حالة اليأس هذه. أنت تعرفين كيف يتصرف عمي جيمس في السهرات ويبدأ بالحديث عن صراخ الطبقات. إن اللورد بازيلي وزوجته على لائحة المدعوين ولن يكونا مسرورين إذا حدث هذا النوع من الحديث. أرجوك يا عمتي كوني واقعية».

كانت داليا تلعب الورق مع عمها هاري. وراحا ينظران إلى بعضهما البعض في مزح عارفين أن هيلين ستكون الراححة في النهاية.

ومساء الجمعة أقنعت هيلين أختها بأن تأتي معها لقضاء عطلة نهاية الأسبوع في فيللا بلفدير. كانت تريد أن تكون حاضرة للسهر على جميع التفاصيل بمناسبة الحفل وأضافت تقول أنها لا تجرؤ أن تقول لعمتها أنها ستعطي الليلة وحدها برفقة رجلين عازبين.

جاء غاري وقاد الفتاتين إلى منزل بيتر وللخجال رستت هيلين ابتسامة مضيفة وراحت تلعب دور ربة البيت وتضطجح داليا إلى غرفة

مجلسهم على

المرحومين. بيتر لم يدرى تماماً ما هي أهمية أن يندمجا في جو الحفلة.

أرادت هيلين أن تكون وحدها المغلفة بالفضة والسجاد الأحمر والسيراميك والستائر الطويلة الحريرية والنوافذ المطلّة على الجبل. كانت تملك ليلة رقيقة بيتر حيث تأملت الجبل على ضوء القمر.

مجلسهم على

المرحومين. بيتر لم يدرى تماماً ما هي أهمية أن يندمجا في جو الحفلة. أرادت هيلين أن تكون وحدها المغلفة بالفضة والسجاد الأحمر والسيراميك والستائر الطويلة الحريرية والنوافذ المطلّة على الجبل. كانت تملك ليلة رقيقة بيتر حيث تأملت الجبل على ضوء القمر.

مجلسهم على

المرحومين. بيتر لم يدرى تماماً ما هي أهمية أن يندمجا في جو الحفلة.

RED ROUS

حزنها من الحزن الذي حزنه

حزنها من الحزن الذي حزنه غاري العنيفة. فقال.

«حزنها من الحزن الذي حزنه على العشي»

«حزنها من الحزن الذي حزنه جعلت الفتاة تشك الأمور على حالها. لكنها

حزنها من الحزن الذي حزنه ينظر الذي تصور أن علي إبعاد

حزنها من الحزن الذي حزنه

حزنها من الحزن الذي حزنه في أذنيها.

«حزنها من الحزن الذي حزنه عن بقية الصدا»

حزنها من الحزن الذي حزنه الكثير منهم»

«حزنها من الحزن الذي حزنه في أفرنجيا. لكني لم ألتق بواحدة مثلك لا يمكن

حزنها من الحزن الذي حزنه. داليا، ماذا تشعرين تجاهي»

«حزنها من الحزن الذي حزنه يا غاري»

«حزنها من الحزن الذي حزنه... منك»

أراح عن جبين داليا خصلة من شعرها ونظر في عمق إلى عينيها الواسعتين

ونزل.

«أتم يسبق لك أن وقعت في الغرام، يا داليا»

هزت رأسها وشعرت بتضاض قلبها السريعة. أرادت أن تنهض من مكانها

وتهرب من هذه الأسئلة الحفيدة. لم تكن ترغب في التحدث عن الحب.

سألتها في ابتسامة معاكسة:

«هل تخيفك فكرة الوقوع في الحب. لا يمكنك أن تظلي هكذا طيلة الحياة. عليك

أن تشارك في حياتك مع رجل آخر ذات يوم»

«حزنها من الحزن الذي حزنه... ليس الآن»

٣ - وردة العازف؟

في صباح اليوم التالي ذهبت داليا برفقة غاري للقيام بزيارة على الراحبة.

وفي الهواء رائحة الأرض الرطبة. تسلقا التلة وفيها يضحكان كأنهما يرتفعان نحو

غصة شجيرة خضراء. فجأة شعرت داليا بحماس يشدها وراحت تركض إلى أن

وقعت على العشب الأخضر. وطلت على وجهها تضاحك مثل ولد في سوادها

الضيق وكنترتها السميكة.

ارتقى غاري قريبا، فتصددا على ظهرها يتأملان الغيوم الصغيرة المنتشرة

والمتحركة في السماء الزرقاء.

هس غاري قائلا:

«إليها جنة عدن»

ثم جلس وراح يتأمل الفتاة ويقول:

«أنت مثل الجنة يا داليا. هذا السلام وهذا السحر الفاسق... هذا أنت يا

داليا»

اتحتني فوقها وراحت تنظر في عينيها الرماديتين وترى حورتهما منعكسة في

نظراته. ثم قالت بمرح:

«هذا المناخ النقي فتح شهيتي. سأتناول فطورا صخيا عندما نعود إلى الفيلا»

كان يحدق برجستها الورديتين ويقلها المثل. ويقول:

«إني أملك فقط وأظهر لك عن صحة ثوابي».

طبع على أنفها قبلة صغيرة ثم نهض وسحبها معه. تخلصت من قبضته وهي
عصاة ثم عادا إلى بلقيس وراكسين.

ولما دخلتا إلى المنزل وجدا هيلين وهي تتبادل حواراً ساخناً مع دونوفان. أحد
خدم بيتر كان قد أوقع تحفة ثمينة وكسرها و هيلين تصرخ به وهو غيور
ميال.

«أنت إنسان مهمل يا دونوفان».

أدارها ظهره وخرج. ولما لمحت هيلين أختها قالت في صوت مرتفع:
«لا يمكن أن أحمل هذا الرجل الوقح لا يعرف أن يفعل شيئاً ولا أفهم لماذا
يحفظ به هذا».

قال لها غاري ويديه في جيوب سرواله:

«دونوفان أتقد حياة بيتر في أفريقياء منذ سنوات عديدة. كان بيتر
يستعمل الديناميت لسحب الصخور في أملاكه. رماء الأشجار أرضاً تفقد وعيه.
أسرع إليه دونوفان وأبعدته عن المكان حيث انفجرت العبوة الثانية التي
كادت أن تقتله. لذلك أنصحك يا هيلين ألا تخبري بيتر عن دونوفان».

قالت هيلين بهجاف:

«تفصني تصانحك أنت أيضاً يا أيها المتطفل».

«هيلين».

نظرت داليا إلى شقيقها في يروء واستخفاف. نهز غاري كتفيه وصعد
إلى غرفة الموسيقى. قالت داليا في استغراب:
«إن ما قلته لغاري شيء مهين ولا يفتقر».

نظرت هيلين إلى أختها وإلى شعرها المشعث والعشب المعلق في كثرتها

بسرعة بوقت سحرية:

«سبحان ربك انتخبك على العشب برفقة غاري. لكنني أنوي وضع جد نيماني
هذا الأوطار في السخاء لدى بيتر».

«أنت غريبة أكثر من غيرك. وليس لديك عذر لذلك. أما غاري و دونوفان،
فهما هائل».

«لست تجزيين على قول هذا الكلام».

«صمت هيلين في غضب وألقاها على وشك أن تزي توريتها الطويلة.
«هات داليا».

«ما قول حقيقته. أنت لا تحبين إلا نفسك. ولا يملك ما ألقته بطولتي من ألم. ولا
يرجى بيتر إلا لأنه غني وبأمكانه أن يأخذك بعيداً عن لاوترون. لقد
سببت إلى ذلك منذ اليوم الأول الذي تعرفت به إلى بيتر».

«صحيح ماذا جرى لك يا داليا. هل أنت غيرة لأنه اختارني أنا. هل تحبينه
بالسر يا داليا».

«ربما كان صوت هيلين يلعلع في البهو. رأت داليا باب مكتب بيتر
يفتح و بيتر يخرج منه... لا شك أنه سيع أخيراً قالت هيلين فأسرعحت
داليا تقول:

«أعتقد أنك تعرفين يا هيلين منذ مدة طويلة. إلى أين وصلت الأمور بيني
وبين غاري».

وبسرعة البرق. تصعدت داليا السلالم إلى غرفتها وأغلقت الباب وراءها
بسرعة وارتقت على السرير ترتجفت. خائفة. كما حدث لها منذ أن نظرت إلى عيني
بيتر تحت النج.

إنها تحبه!

أومضت الحقيقة كالبرق اللاهب في رأسها... في قلبها... إنها تحب الرجل الذي يريد شقيقها الجميلة، لكن الكذبة السافرة التي ارتجلتها لدى دخوله أفضل من الثقة التي يشعر بها تجاهها لو عرف أنها تحبه!

لم يسبق أن حدث هيلين على داليا أو اضطربت عندما يحصل بينهما جدال أو مشاجرة، والموضوع الذي يتعلق بغاري والذي كان سبباً لاندلاع الغضب بين الفتاتين لسيته هيلين كلياً عندما صعدت إلى غرفة أختها قبل موعد الحفلة بقليل.

كانت هيلين ترتدي فستاناً من الحرير الأبيض المطرز، وقرنفة تزين كتفها الأبيض، معلقة مثل عنكبوت ليلكي، وتسريحة شعرها بشكل كهكة تليق بها وتنسجم مع زينا تماماً. وكان فمها الوردي يتسم امتناً وعيناها تلعبان فرحاً صيقاً، فقالت في استغراب:
«ألم ترتدي ملابس السهرة بعد؟»

كانت داليا تلبس جواربها الحريرية الناعمة، وكان وجهها شاحباً لكنها لم تكن حاقدة، وفي صدق حار امتدحت هيلين قائلة:
«قرنفلتك تعجبني، إنه رائعة وسريعة!»
أبسمت هيلين لصورتها في المرأة وقالت:

«إن صديقي الإيرلندي يعرف أهواني المترفة تماماً ولا يهجم إلا أن يشفي رغبتي، مهما كانت نظرتك للأمر، يا عزيزتي.»
ووقع نظرها على علبة صغيرة موضوعة فوق منضدة الزينة، ففتحتها ووجدت داخلها زهرة وردية وقالت:
«إنها من غاري، أليس كذلك؟»

كانت داليا ترتدي فستانها الوردي فيما أن انتهت حتى أجابت:
«لا تصدق غاري أحضرها عندما كنت أخذ حماماً ساخناً.»
كانت داليا متأثرة كثيراً من تصرف غاري الذي جاء خفية إلى غرفتها ليأخذ هذه الوردية الرائعة.

«أر أضعها يا هيلين؟»
«على ما أظن...»

تسللت هيلين الوردية وشكلتها قرب قلب داليا.
«سيفرح عندما يرى قلبك ينض تحت وردته، أنا نادمة لما قلته عن غاري.
كنت متوترة ومستاءة من دونوفان فتفوهت بكلمات من دون أن أفكر فيها... لم أكن أعرف أنك واقعة في غرامه. أنت كتومة فيما يتعلق بحقيقة مشاعرك، يا هرتي الصغيرة.»

نظرت داليا في المرأة ورشت البودرة على أنفها وخديها وقالت:
«غاري إنسان شديد الحساسية وليس منطظلاً، إنه يعيش مع بيتر منذ صغره وهما كالأخوين... وبيتر يشرح فرحاً كلما عذف غاري على البيانو.»
صرخت هيلين ضاحكة:
«كفى! لن أجز بعد الآن أن أنطق بكلمة واحدة ضد فتى أحلامك ذي العينين الزرقاوين.»

«إن عينييه وماديتان.»
«أنت إذن تنظرين في أعناق عينييه القامضتين.»
لم تتمكن داليا من الالتفات إلى أختها. فراحت تضع على عتقها عقداً صغيراً من المرجان انتشلته من بين يديها وقالت:
«لست بحاجة لارتداء هذا.»

كانت حينها هيلين تفحصان داليا من قدميها حتى رأسها الصغير ويدت
مستعرة لهما:

«تعالين إلي فتاة جميلة، يا أرنيتي الصغيرة».

ثم صمت أختها وراحت تنظر إليها إحداهن قائمة وجذابة والأخرى غامضة
مثل حورية الغاب.

كانت هيلين ضاحكة:

«الترنيلة والورد».

ضحكت ثم هبطتا معاً السلالم الكبيرة الحديدية في أنانتهما الفائقة، نهض
بيتر عن مقعده وتقدم للقائهما. كان يشبه مصارعاً رومانياً في بدلة السهر
وشعره الأسود ورموش عينيه السوداء، كلها تظهر جمال عينيه الخضراوين.
كان يدخل السيكر ورائحته تدخل أنف داليا، وقلبها ينهض بسرعة جنونية
لأنه كان ينظر إلى الورد المشكوك على صدرها.

قال ضاحكاً:

«أنتا رائعتان. ولي الشرف أن أستقبلكما في منزلي».

قالت هيلين:

«تتكلم مثل ملك على عرشه».

اقتربت منه حتى التصفت به لحظة ولامنت كتفه، ثم أكملت طريقها إلى
غرفة الطعام لتؤكد من أن الطاولة الفخمة تم تجهيزها حسب أوامرها، رائحة
الزهور تعم المنزل والثريات الكريستال مضاءة والأثاث يلعب.

قال بيتر وهو يمسك داليا بيدها:

«أماننا عشر دقائق قبل الاجتماع. تعالي احتسي شراباً في كهفي».

خافت بعض الشيء ورفعت عينيها نحو السلالم وكادت تعثر وتذرع أنها

تسرع نحوها في الخوف، لكن بيتر أسرع يقول ساخراً:

«أنا أعلم من هنا أنكى أفهمك قليلاً يرافق الحب أحياناً شعور بعدم
الاعتماد على النفس، لا يشفيه سوى وجود الحبيب».

ثم صمت قائم يسخر منها، وكأنه يعرف أن داليا لا تشعر بهذا الاحساس
عزلي حتى ولو كان غاري يشعر بذلك تجاهها.

نصحت داليا إلى مكتبه من دون وعي ورائته يفتح خزنة تحتوي على عبوة
عطر من الشراب والكؤوس.

نظمت كأساً من الشراب الخاد، ثم اقتربت من المدفأة وثوبتها الحريري يصدر
خفياً نكهة كلها تحركت، تقدم منها بيتر وقدم لها الكأس المصنوعة من
الزجاج السيك وبداخله الشراب مع الكثير من الثلج، وأشار إليها بيتر
بأن:

«تشربي هذا الشراب».

جرعت قليلاً منه وأعجبت بطعمه اللذيذ وسألته في ابتسامة:

«هل هذا من اختصاصك؟»

«نعم وأنه خاص بالفتيات الصغيرات مثلك».

«أنا لست بفتاة صغيرة؟ في أيلول / سبتمبر أصبح عمري عشرين سنة».

قال ساخراً وهو يجتني شرابه:

«أنا عمر مقبول. وأنصورك لتعلمين بأن تصبحي يوماً مثل هيلين، امرأة
متأنقة».

«الظاهر أنني أشبهها قليلاً».

ابتسمت داليا. وهي تفقد هيلين فلم يفرح بيتر بذلك. كانت عيناها
باردين مثل قطع الثلج في الكأس.

قال في ثورة وغضب:

«لا تبدأ في تقليد هيلين، دعني تفك تفكيرك على طريقتك الخاصة، كوني أصيلة وليس نسخة».

أجرت وجنتها متأثرة بكلامه اللاذع الذي يعني أنه ليس بإمكانها أن تكون أبداً إنسانة رائعة، مثيرة مثل شقيقتها، فقالت بجفاف:

«كنت أمزح فقط الفتاة الصغيرة ليس بإمكانها أن تتأكد من أي شيء سوى من بلاعتها وخاصة إذا كانت مثلهمة لأن يعاملها الغير كفتاة ناضجة».

ابتسم لهذا المنطق، فزوت عليه بابتسامة بريئة، فقال في صوت مخلي وطبعة أيرلندية متناغمة:

«صديقي يا داليا، أنا الرجل الذي عمره بضائع عمرك، أقول لك أبقي شابة أطول مدة ممكنة، لأن المسؤوليات التي تقرأ على الإنسان في سن الرشد تبقى معه أطول بكثير من سحب المراهقة».

«أحياناً تراقب السحاب غيوم يا بيتر».

«نعم، لكن الغيوم تتجلى وتعود الشمس إلى الشباب البري»، غير أنها لا يمكن أن تعود أبداً إلى الذين وصلوا إلى العجرفة والمفاخرة».

تفحست داليا بلائحة الثوب، القاسية، التي حددتها سنوات أمضاها في بناء أمبراطورية تجارية ضخمة. لو تسنى لها في شبابه أن يعيش قصة حب خالصة تختلف عن الحب الذي تقدمه إليه هيلين، لما كان بحاجة إلى هذا الحب اليوم. وما أن لحق داليا في عينيه الحضراوين يرتاناً فضولياً حتى ابتعدت عنه وتوجهت نحو الشافذة، الستائر ما تزال مفتوحة وفي غمرة المساء شاهدت سيارة تقرب ومصابيحها تسلط على المنزل، فقالت:

«بدأ المدعوون يتوافدون».

«بيتر، متى ووقته قرحاً، ففعلت إذ شعرت بسطوته عليها، اختزلت معها صغرية وبدأت تنسى أن تشعر بذراعيه الثوبتين حولها، وأن يضمها إليه وأن يرغبها كما ترغبه».

ليس داليا

«لا شك أن بلقيس عرفت العديد من الحفلات في أيامها، وكان المدعوون يراهم في المر والبدلات تلعب بأشرطتها الذهبية، متدججة مع سائق وممثل القمار الطويلة الفاخرة».

وتحلت داليا ضاحكة:

«جوليسكي تعرف رقصة الفالس والامهات الأنانيات يجلسن في مجموعات والرجل يراوحن ويحفظن لزواج بناتهن».

بيتر

«انفضت لصوت هيلين وابتعدت، داليا سبرغة عن بيتر بينما كانت سليلها تدخل غاضبة وقالت وهي تتناول ذراع بيتر في تسلط واضح:

«رجل الـ وشتون، تعال نحتفي بهم».

«سهرة كانت نجاحاً بارزاً لهيلين، لقد اختارت ودججت المدعوين في فن ودق رقصين، كأنه لم يفعل إلا ذلك طيلة حياتها، ولا يمكن أن تنكر أنها تناسب بيتر وشكلان ثنائياً رائعاً، كلاهما جريئان ومحبان رغد الحياة والرفاهية، ويمتلكان هذه الموهبة الغامضة التي تدعى الشخصية».

بعد الغشاء، رقص الجميع على أنغام موسيقى الأوركسترا في قاعة الرقص الكبيرة المضاءة بالشرقيات الفضية والكريستال والمليئة بالمرايا على مختلف أنواعها، وقحت القناطر المكحلة بالأزهار.

كانت ذقن غاري تستند إلى شعر داليا الناعم وفيها يرقصان الناقصون

وهي في أذنيها قاتلاً.

إنها فكرة رائعة أن تضيء هذه الوردة على الفستان الوردى.

انفعل قلب داليا كانت تعتقد أنها هدية من غاري، لكنها تذكرت كيف كان بيتر ينظر إليها عندما هبطت السلالم برفقة هيلين. فقد أهدى قرنفلة إلى هيلين وأصر أن تضع أختها زهرة أيضاً.

نظرت حول غرفة الرقص حتى رأتها، إنه أطول الرجال الحاضرين، يضحك مع هيلين وآل وبتون، أغوا أصدقائه.

كانت شخصيته في ذلك المساء وقحة وجريئة ومغامرة ومتهارئة وغير مكترثة. وهذا كان واضحاً في ضحكته. وبعد قليل كانت داليا بين ذراعيه في رقصة حظة. كان في أناقة غريبة واحتشاشه لها كان جنة وبعيداً في الوقت نفسه. كان يبدو لها كأنها انتظرت كل العمر ليعانقها بيتر شيريدان. ولما انتهت الرقصة، قامت بجهد كبير لتقاوم الالم الناتج عن ابتعاده عنها. فقال:

«شكراً يا هرتي الصغيرة».

تقلصت حتى الابتسام وهي تقوم بالحناءة ساخرة.

وحال منتصف الليل، تضامل عدد المدعوين وراخت السيارات تتعدد وأوراق الزهر تتطاير في أرض قاعة الرقص. عندما اجازتها داليا و غاري يهدو، وهما يتحدثان عن السهرة.

قال غاري: وهو يداعب الزهرة على صدر داليا:

«لقد سحقلت زهرتك، لا شك أن ذلك حدث خلال الرقصة معي».

هزت داليا رأسها، لكنها كانت تعرف أن الزهرة انشجقت بين ذراعي بيتر لأنها وضعت يدها عليها بعد انتهاء الرقص ولاحظت أن جذعها انكسر.
قال غاري:

لها سهرة ناجحة. الناس جميعاً انجذبوا بجمال وأناقة شقيقته. وكلهم يهتمون

بها ستكون الزوجة المثالية لبيتر».

وهو وصلاً إلى اليهود كان بيتر و هيلين على المدخل يودعان المدعوين، بعدما اقتفا آل وبتون بالقاء والنوم في بلقدين وفي اليوم التالي، نهار الأحد، كان النهار مشمساً وتم تدشين حوض السباحة. هيلين كانت تشعر أنها وسط سحبا وفي إرتياح تام مع أصدقاء بيتر. كانت تتسابق معه في حوض السباحة الأخضر وتعرض جسها لأشعة الشمس وهي مستلقية على كرسي الشمس.

وداليا جالسة على مقعد من القش تتصفح مجلة وتأمل بيتر من دون معرفته بالأمر من وراء نظارتها السوداء. كان يمدداً على طرف الحوض وفي شعره الأسود السيلك تتقطر المياه وفي يده كأس. كان يتحدث مع سامي وبتون ويذكران معاً الزهات الدغلية التي كانا ينظمانها في إفريقيا، حيث كان سامي وزوجته عليكان مزرعة أمضيا فيها عدة سنوات. ولاحظت داليا أن هيلين تقل من هذه القصص الأفريقية.

فجأة، رأت أختها تمسح بيتر قدمها وتركله على ركبته. وهذه الحركة كانت كأنها تريد أن تقول: لقد نسيت وجودي. أنا ما أزال هنا. غمز عينيه ونظر إليها وتقلصت أصابع داليا على المجلة حين رآته يتسهم. كانت عيناه ممدقان في جسم هيلين كأنه يريد أن يقول: «أنا لم أغفلك، يا ساحرتي الرائعة، كيف بإمكان ذلك أن يحصل».

تعدد غاري على مقعده القريب من مقعد داليا واقترح عليها قاتلاً: «ما رأيك بنزومة في السيارة بعد ظهر اليوم».

«إنها فكرة جيدة».

ابتسم له داليا وأغية في شوق أن تغادر بلقدين.. أن تهرب..

ولما غابوا بعد الغداء للترفيه، حدث داليا حفيظة ملائمتها ووضعتها في
السيارة، إذ قررت ألا تعود إلى بلقديز للعشاء.
دخلت كئيباً، يا داليا الحورية.
كان بيتر على المدخل، طويلًا وغير مبالي، يرتدي قميصاً مفتوحاً على صدره
الأسمر ويده في جيب سرواله القطني.
أكدت له قائلة:

«تماماً. شكراً على دعوتك لي».

«أنت دائماً مدعوة إلى بلقديز يا داليا. هذا منزل غاري كنها هو منزلي».
رفع يده عندما أقبلت السيارة وضغطت على نفسها فلم تثبت لتأمل شبحه
الطويل مرة أخرى. اتجهت السيارة بسرعة إلى الممر ودخلت الطريق العام.
قال غاري:

«أخيراً نحن وحيدين. هل أنت سعيدة مثلي».

وافقت... فكيف بإمكانها أن تخرج شعورها.

قالت ويدها مشدودتان فوق ركبتها:

«نعم. جميل أن نكون وحيدين».

سأها غاري:

«إنني أراهن بأننا سنسمع قريباً بخطفة بيتر و هيلين. هل تخمين أن يكون
بيتر صهرك؟»

انفرت أصابع داليا في كفيها وقالت:

«طبعاً».

«كأنيما كان صوتها الداخلي يقول «تريدين بيتر لك... نعم لك»»

لم تكن تفهم لماذا، لأنه يزعجها قليلاً بقساوته وفي الوقت نفسه يذوئها

حسراته الخنونة والمخاطفة. إنه يكرها بسنوات عديدة، وهو رجل عاش تجارب
كثيرة ويعرف العالم ويشعر بالجداب نحو هيلين. ومع ذلك لم تكن هيلين
تلك لحظة واحدة في صحة عواطفها.
إنها تحب الرجل الذي أبدى، بعد أسبوع فقط خاتم الخطبة إلى اختها، خاتماً
من الزمرد اللامع كالنجوم في السماء الصافية.

RED ROUS

٤ - أختي وصيفتي

كانت داليا نائمة عندما أضيفت غرختها فجأة، فاستيقظت من حلم، من كابوس، كانت ضائعة في العاصفة... الرعد والبرق والمطر... كانت وجعها مبللتين بالدمع فجففتها بسرعة بطرف يدها عندما رأت هيلين جالسة على طرف السرير إنها أجمل من كل الأيام، شعرها المطروح كعكة وعينها البراقبتين للراحتين.

«هل يعجبك»

وضعت هيلين يدها تحت أنف داليا التي لم تستيقظ بعد غاماً، فتعجبت قائلة:

«ماذا من؟»

قالت هيلين وهي تحرك أصابع يدها:

«أختي، يا حقاً إنه ضخم بما فيه الكفاية، ويمكنك أن تزيه جيداً، قدمه لي بيتر مساء اليوم».

انفطشت داليا وجلست في سريرها تتأمل الخاتم، نعم، إنه خاتم ضخم ومزود كبيرة محاطة بحجارة صغيرة من الماس، إنها نار خضراء وبيضاء في يد هيلين النحيلة.

«لقد حصلت عليه؟ هنيئتي، يا هرتي».

داليا تعرف جيداً أن هذه اللحظة شخصيل، لكن كلمات الشهية ظلت مسبوقة داخل حنجرتها، فتوترت هيلين من ردة فعل داليا أمام هذا الخاتم الرائع الذي يقبلها إلى بيتر شيريدان... الرجل الثري، القطب الغامض، هذا المشهور ذو الشاع المخيف، الذي انجذبت إليه معظم النساء لكنهن لم يحصلن عليه. أما هيلين، فقد تمكنت من أسره وتشر الآن بانتصار كبير.

تمسكت هيلين بكففي داليا النحيلتين وهزتها قائلة:

«استيقظي يا داليا، قولي شيئاً ما، حتى ولو اضطرت إلى القول: يا أختي المسكينة... أنني أعرف جيداً أن ذلك ما تفكرين فيه».

«لا... كلا...»

«أفمن لماذا تبدين مضطربة بهذا الشكل».

كانت هيلين تضحك لكن عينها أصبحت فجأة جديتين، قائلة: داليا لهذا الأمر وقامت بجهد لتتالك نفسها وقالت:

«طبعاً أنا سعيدة من أجلك، يا هيلين... اهتلك».

قالت هيلين ساخرة:

«هذا كلام فتاة صغيرة عطيفة، أصبحت أسوأ من العمى سوزان، إنها تعثر بيتر رجلاً من حديد، الصاعقة والرعد تحت جلده، بدلاً من اللحم والدم، والألم دعيني أرى كيف تبدين وهذا الخاتم في أصبعك».

هذا الاقتراح أزعج داليا التي رجعت إلى الوراء واستندت إلى الوسائد وقالت:

«لا... أرجوك».

«لا تكوني حقاً».

قلوات هيلين يد داليا بالقوة وضعت الخاتم في أنبصر ثم راحت.

تأمل يد شقيقته الباردة. وشرعت تضحك بفرح وتقول:

«بيد الحاتم مضحكاً في يده، يا طفلي».

بدأ الحاتم تقيلاً وخشاً على يد داليا التحيلة ذات الأصابع الناعمة

والأظفار الصغيرة غير المقلية. وشعرت بارتياح عندما سحبته هيلين من

أصبعها لأن وزنه وقبضته تزعجها. ووضعت هيلين من جديد في أصبعها وهي

تبتسم من الاكتفاء وليس من الحب. وفي قلبها قليل من الحب لبيتر كرجل.

وفي لحظة مؤلمة سألتها داليا:

«هل رأيت طوني في هذه الأيام الأخيرة؟»

لم يبد على هيلين أنها فرحت أو حزنت لهذا السؤال. فأجابت ببرودة:

«لا. لم أر أحداً من أصدقائي، منذ مدة طويلة».

قلت داليا شرقت السرير في حركة مضطربة وقالت:

«شاهدته مساء أمس. ووجدته... حزناً...»

رفعت هيلين في بطن عينيها عن خالتها وقطعت حاجبها قليلاً وسدعت ما

أجانبته داليا:

«جئت مع غاري إلى السيخ والتقينا بطوني في المدخل. وتحدثنا قليلاً».

رفعت داليا رأسها تنظر إلى شقيقته التي تشجعت وقالت:

«لا تتحدثي نفسك يا هيلين. لا تتزوجي بيتر إذا... إذا كنت تحبين طوني

فعلاً».

لمح القصب في عيني هيلين وقالت:

«أنت إنسانة وقحة».

مدت داليا ذراعها في حركة متوسلة كأنها تريد تفادي ضربة وقالت:

«هيلين... أنا أعرفك جيداً. وأعرف حقيقة عواطفك تجاه طوني».

وما للبقاء أنا أحب طوني كصديق فقط لا غير. وبيتر هو الرجل الذي أريد

أن أتزوج».

قالت داليا بحماسة:

«كنت تبغين نفسك وهو يشترى».

هذه المرة التفتت هيلين لا أمام حقيقة واضحة، بل لأنها للمرة الأولى

تسمع أختها تعبر بهذه الطريقة:

«وماذا تعرفين بعد. إن الرجل الوحيد الذي تعرفت إليه وأحبك هو غاري

كوتواي. والآن تتكلمين كأنك على معرفة بكل شيء من أمور الحياة. هل ذنك

غاري على الحب؟»

انقضت داليا للهجة هيلين القاسية وشعرت بالم وحزن. فنهضت

هيلين وتوجهت إلى منضدة الزيت وخلعت من أذنيها زوجي أقراط أهداها

أيضاً بيتر إليها. وسألت داليا بلا مبالاة:

«وماذا أخبرك طوني؟ هل سألك على؟»

«سألني عن أحوالك».

«قلت له أنني في أحسن حال».

«قلت له ما يشبه ذلك».

«واني أرى بيتر في صورة صغيرة؟»

«كلا... لم نتكلم عن بيتر».

«ولم لا؟ بيتر هو أهم مواضيع الأحاديث المتداولة هنا في لاوتون. منذ ثمانية

أسابيع. لا تقولي لك لم تتحدثني عن بيتر مع طوني و غاري و... ربما

كانت ترافق طوني فتاة ما».

«كلا. كان طوني وحده».

«ليس طوني سوى رجل غيبي، عاطفي... نعم، يا داليا، يعتقد أنه في إمكان العيش من الحب والماء المنعشة، في كوخ صغير وأنا أرتدي مريولاً وأسلق البشعر وعيني على طفل في الحديقة الصغيرة، يا إلهي، إنني أضجر من حياة كهذه أختي! أريد غرفة واسعة وأثاثاً فخماً، ثياباً للحب المقلبي! أه، أرجوك، لا تظهرني حزينة يا داليا، بيتر يعرف تماماً ماذا يشترى، كان يجب عليك أن تسعيه يضحك على كل هذه التفاهات المنشورة في الصحف حول قصتنا، إن بيتر ليس بإنسان غيبي ولم يعاملني أبداً مثل سندريلا».

سألنها داليا في صوت حزين:

«ومتى توبان الزواج؟ هل حددنا موعداً لذلك؟»

«لقد فكرنا أنه من الأفضل أن يتم الزواج في أواخر شهر تموز / يوليو وستكونين إحدى وصيفاتي».

تفلفت يدا داليا تحت الغطاء وشحب وجهها وتساءلت:

«هل تصرين على أن أكون وصيفتك؟ أنت تعرفين أنني أكره ارتداء الملابس الفاخرة».

التفت هيلين إلى أختها وراحت تتأملها وتقول:

«أنت اليوم الفتاة الصغيرة التي لا تريد أن تقول نعم لأي شيء! ستكونين وصيفتي الأولى ولقد قررت أن ترتدي فستاناً من الحرير الأصفر هكذا ستبدئين متحفظة ومؤثرة وشجيرة في الوقت نفسه».

ابتسمت هيلين وقالت:

«وحين يراك غاري في هذا اللباس، سيرع في طلب يدك المحجولة».

«غاري وأنا، صديقان فقط لا غير... صديقان عزيزان».

«كفى، يا حبيبتي، لست بمثلثة أصيلة واضح وجلي أن غاري يحبك، ولا

أستمر في حبس الضلع منه في هذا المكان المنزوي، فكيف قليلاً يا داليا، أليس يجب التفتيش، اللتان أصبحنا فجأة، ثريتين، لا يسهلها العالم كله، يا داليا، رأيت بإمكانك أن تصبحي مثلي، غاري شاب محبوب وفي الضلع مريح أموالاً طائلة بعزفه وتأليفه».

رأت هيلين تنزع شعرها وفي أصبعها خاتم المظبية.

أرادت نشر ضلع في مكان غريب وساحر وفاخر، حيث يؤمه العالم الضيق والألم.

هيلين

«يا حبيبتي... هل تشعرين بارتياح وتحسن إذا صرحت لك إنني اعتبرت طبعي رجلاً جذاباً؟ النساء ينظرن إليه كلما خرجنا معاً وأرى في ذلك إشارة حميدة».

استندت داليا رأسها من جديد على وسائد السرير، وتلقبها حزين، بيتر المدير العام لمؤسسة شيريدان العالمية، الدماغ، المقدرة، المخيلة وراء كل هذه الأعمال، لكن هيلين لم تكتشف أن فيه الصبي الصغير، الصبي الوحيد الذي في حاجة أن يحبه الآخرون من أجله، وليس من أجل شكله وماله.

«داليا... أعتقد أنني تجحت في شيء، لم أكن متصورة كلياً أنه سيحدث... هل تعرفين ما هو؟»

بدت هيلين في اكتفاء كهرة سرقت قطعة جينة، وداليا ترغب في أن تخلو لنفسها أو تموت بدلاً من مواجهة تعبير وجه شقيقته التي قالت:

«إنه واقع في غرامي، بجنون، رأيت ذلك في عينيه، هذا المساء عندما أهداني خاتم المظبية، قال لي إنني أبدو فتاة صغيرة، بخدي الورديتين والنجوم في عيني... نظر إلي... كأنه غير مصدق أنني إنسانة حقيقية... داليا، لم يسبق أن رأيت بيتر

هكذا، وفهمت أنه متأثر بعد أن طلب يدي ووافقت على الزواج منهم.

نهار السبت، بعد أسبوع من خطبة هيلين و بيتر، قررت داليا الذهاب في الصباح لزيارة روزي بارات، ثم تأخذ الباص وتذهب إلى مدينة ردفورد حيث تشتري حبة الخطبة لأختها.

وروزي واحدة من العجزة الذين ستهدم منازلهم. وتعرف داليا أن روزي مضطربة ومتوترة لما سيحل بها. منذ وفاة ابنتها الجندی في الحرب، أصبحت وحيدة على هذه الأرض، إنها امرأة شجاعة، قصيرة القامة، عملت كخادمة تنظف المكاتب، إلى أن أصيبت بداء الروماتيزم الذي أقعدها في البيت. كانت قبل ذلك تعمل بصورة دائمة في شركة الضمان التي يديرها العم هنري.

كان العجوز سام غارستين يصلح الباب الحديدي لمدخله فتوقفت داليا تتبادل معه الحديث حول الوردة وأزهار الورد. ثم قدم لها وردة علفتها على صدرها، فقال سام:

«سأرؤا، وأنا، لسنا حاقدين عليك يا أنسة. داليا، لما يفعله بنا رجال البلدية».

هست داليا. وهي تضع في جيب معطف العجوز بعض المال ثمناً لتيهه. «أعرف ذلك يا سام. جئت لأرى السيدة بارات، إنها مسكينة ولا تعرف ماذا ستفعل بهرتها عندما تنتقل إلى الشقة الجديدة، اقترحت عليها أن آخذ الوردة إلى منزلي لكن روزي تخاف أن تحزن هناك وتحاول الهرب عندما ترى نفسها بعيدة عنها».

«آه نعم، إنها متأثرة جداً من المؤسف أن يصار إلى طردنا من هنا وفوق ذلك تشريد الحيوانات التي كانت تعيش معنا منذ سنين عديدة... لقد سمعت أحدهم يقول، إن بإمكان البلدية أن تشتري أسلاكاً أخرى شرط أن تدفع مائلاً أكثر، وبذلك يصبح ممكناً لنا أن نظل مكاننا. هل هذا صحيح؟»

نعم، لكن البلدية غير مستعدة أن تدفع ثمن الأرض المعروضة للبيع. وبما أن هذا المنازل ملك البلدية وتدية العهد، فقد اعتبرت ضرورية».

قال العجوز سام بحزن:

«كما يعتبرونا نحن الذين نعيش في هذه المنازل، لا نضع لأي شيء ويريدون أن يزدبوننا في علب بطريقة أو بأخرى».

تشجع يا سام. لم ينته شيء بعد حتى الآن».

قال وهو يستعيد ابتسامته وعينه على أزهار الورد:

«أنت على حق. عندما يتأمل الواحد الورد يعرف أن المعجائب محيطة».

ظلت الكلمات تطير في رأس داليا بينما كانت تختار الطريق المؤدي إلى بيت روزي. رائحة الورد قوية ترحي بذكريات وردة سكقتها ذراع تمسكها الآن تليقها هيلين.

كانت داليا تمسك طعام روزي ومطبخها الأبيض والكراسي الجلدية بالأبيض والستائر التي تغطي النوافذ الصغيرة ورائحة الشاي التي تعبق من فرن روزي المصاحب. كانت الوردة قائمة بين أنية الزهر.

قالت المرأة العجوز وهي تحضر لداليا فنجان شاي وبعض قطع البسكوت والحلوى:

«إن جريدة اليوم لا تتحدث إلا عن خطبة هيلين. كيف تلقت عمك سوزان الخبر؟ أعرف أن هذا الأيرلندي لا يعجبها».

«كانت غمتي دائماً تمنني أن تتزوج هيلين من أين الدكتور غريغ لكنها ستعود على بيتر شيريدان. وتخضع للأمر الواقع... لقد قدم هيلين خاتماً من الزمرد والماس، خاتم خطبة من الطراز الفاخر والضحك».

قالت روزي بخدعة:

«يبدو أن هيلين فرحة بالأمور هل تحتل موعد الزواج؟»

«في أواخر تموز / يوليو»

«وأتت هل أنت فرحة بهذه الخطبة؟»

«كنت هنا روزي فتجان شاتي وعندما تناولته داليا من يدها اندلق قسم

من محتواه على الصحن. وانتهت روزي لارتجاف يدي داليا فقالت:

«يا الهي، يا ابنتي، لا تقولي أنك تحبين الرجل!»

«أنا... أنه يعجبني كثيراً، وهذا شيء طبيعي»

«أنا أمرك يا داليا من زمان، وبمكسي أن أرى جيداً أن شيئاً ما يوتر

أعصابك، ماذا جرى؟ هل تحبين الرجل وهل تعتدين أن شقيقتك تتزوج من

أجل المال؟»

«إنه يحب هيلين...»

«وهي لا تحب إلا نفسها، آه، نعم، أفهم، يا داليا، عشت في هذا العالم سنوات

طويلة وتعلمت أن أفهم الناس، إنه شاب وميم، أليس كذلك، وهذا ما يستحق به

معظم الأيرلنديين خاصة عياد الحضراوان الجميلتان»

أجابت داليا مبتسمة:

«إنه إنسان نشيط ويتصرف بالحاج، كأننا الحياة بالنسبة إليه عقلية كبيرة وهو

الجراح الأول»

«هذه هي، يبدو لي رجلاً مطلقاً ولا يمكنني أن أتصور هيلين تسخ له بأن

يسيطر عليها، إنها من نوع النساء اللواتي يردن أن يهيمن على الأسرة ويتصرفن

كالزوجات الأمرات»

«فهمت داليا في صوت عالٍ، وأكدت لروزي أن بيتر هو آخر من

يريد أن تكون زوجته هي الأميرة في الأسرة»

تالت المرأة العجوز وهي تضع قطعة من الخبزة على البسكوت:

«الآن عندما ضحكت، رأيت فيك من جديد صديقتي العزيزة، هل تريدين قطعة

خبزة يا صغيرتي»

«أفضل قطعة الحلوى المربعة بأناقة على هذا الصحن الفضي»

تناولت داليا قطعة الحلوى وأكلتها في شهية وهي تقول:

«م. م. م. لذيذة»

«إن فرني القديم الذي يعمل على الخطب يحضر أطيب الحلويات في العالم، ولا

أعرف كيف سيكون بإمكانني الاستغناء عنه»

ذهبت روزي ورأتها داليا تتأمل في حزن أثاث مطبخها الدافئ

والضياف، الأواني الملصقة والصحن والفتاحين النظيفة ومكان المرأة حيث تنام

في المساء، والمدفأة التي تعلوها صور أبنائها الجندي الشهيد»

«لا يجتدي شيئاً أن أفلق وأشغل بالي، لكنني كنت دائماً أفكر في إنياء أيامي في

هذا المنزل الذي دخلت إليه عندما كنت عروساً شابة، وعلى فكرة، هل سيكونين

وصيفة هيلين؟»

«نعم، سأكون وصيفتها الأولى، وهناك بيت وصيفات غيري، والآن سأذهب إلى

ردفورد لابتاع لها هدية الخطبة»

وبعد ساعة كانت داليا تجتاز الطريق الرئيسي في مدينة ردفورد، متوجهة

إلى محل الزجاجيات والخزف حيث تأمل أن تجد هناك شيئاً يعجب شقيقتها، ليس

من السهل اختيار هدية تعجب هيلين، فهي لا تعرف أن تقدر مثل داليا

الأشياء النادرة والجسيلة وتفحص الأشياء الأنيقة التي تلفت النظر والباهظة

المن

وراحت داليا تتفحص الأنية الخاصة بالزينة والتحف الغربية، فوقع نظرها

على طائر من الزجاج الأزرق الشفاف، متقاره أنفخس في زيش جناحه الأبيض.
هل تحب هيلين هذه التحف أم تفضل آنية الزينة المصنوعة من الزجاج
العصري والفضة؟

«لجاءت انتفضت عندما سمعت صوتاً مخملياً يسأل وراءها:

«لست قادرة أن تختاري اللعبة التي تريدن شراءها؟»

بدأ قلب داليا ينض بسرعة واستدارت وانخطفت صوتها وهي تنظر إلى
خطيب أختها. أخيراً قالت:

«هذا أنت يا بيترا إني أبحث عن هدية هيلين، هدية الخطبة. أنا سعيدة جداً
هيلين. ولك. أهلك».

«لا متسلاً وساخراً.

«شكراً يا داليا».

ثم أشار بيده إلى سيارته المتوقفة على جانب الطريق حيث يحظر الوقوف
وقال:

«أنا تأخرت سأخذ مخالفة. عجل في اختيار هديتك ثم أذهبك إلى الغداء».

«أوه... حسناً».

ترددت في اختيارها فقال بيترا:

«أنت غير قادرة على أن تزجي نظرك عن هذا الطائر أليس كذلك؟»

شعرت بيد بيترا على خصرها وينعومة سترة المصنوعة من قماش الكشمير.
فليها ينض فرحاً مؤلماً إنها سعيدة وهي قريبة. هو الرجل الطويل، الضامض
المرعب والمحجوب.

«إنها تحفة جميلة. لكنني لا أعتقد أنها ستعجب ذوق هيلين. ألا تعتقد أنها
تفضل آنية الزينة العنبرية والفضية، يا بيترا».

«من دون شك. وبما أنني لا أريد أن يملك أحد غيرك هذا الطائر الأزرق الجميل،
سأشاعه لك».

احتجبت قائلة:

«لا يمكنني أن أقبل ذلك».

أجاب ساخراً:

«كيف، ألا يحق لي أن أقدم لعبة لأخت خطيبي؟»

طلب من البائعة أن تخرج العصفور من وراء الزجاج ولما وضعته على طاولة
البيع بدأ يلعب كأنه عصفور حي. واضطرت داليا أن توافق على قبول هدية
بيترا هذه.

وبعد دقائق خرجا من المحل ووضع بيترا المدينتين في المقعد الخلفي وساعد
داليا على الصعود قربه. ثم أقبل وأخذ الطريق الخارجة من مدينة ردفوره.
ثم أعلن قائلاً:

«مللت المطاعم الفاخرة. اشرح أن تناول الغداء في حانة لطيفة أغرقها وسط
القرية. ما رأيك».

«أوه، نعم. إني أحب هذه الحانات الريفية وجسورها النائية والناس التي تؤمها.
نظر إليها نظرة حنان وقال:

«كم أنت مختلفة عن هيلين، وخاصة في طريقة تصرفاتك. أنت تحبين الأشياء
البسيطة بينما هيلين لا تتذوق سوى ما يكون على الموضة واليمين والفاخر».

«نست داليا تقول:

«أريد أن تقول إني فتاة ساذجة وبسيطة؟ ألا يمكن هيلين أن تنهج لعصفور
من زجاج».

قال ضاحكاً:

«نعم... ما رأيك في خاتم الخطبة؟ لقد ظلت تصنيفه خصيصاً لها».

«إنه رائع».

ظفرت داليا إليه ولمعت من تدويره فمدت الساخرة أنه يبدو مبتهجا وغير محسوس إنه قرح لأنه قدم هيلين زوجة ضخمة محاطة بحيات الماس اللامعة، ومسروور أيضاً لأنه أهدى داليا عصفوراً من زجاج.

وبعد قليل وصلا إلى قرية صغيرة، تخفف بيتر من سرعة السيارة وهو يدخل الشوارع الضيقة بين المنازل القديمة، مروراً بسوق قديم وفي آخره أوقف السيارة في ساحة الحانة. كانت توافظ الحانة صغيرة وأمامها شجرة جرد قديمة وضخمة تسيطر أغصانها فوق الساحة.

سأل بيتر داليا وهو يمد لها يده ليساعدها على الهبوط من السيارة.

«هل أنت جائعة؟»

«نعم، كثيراً».

الهواء النقي فتح شهيتها، فظفرت حولها في اهتمام عندما دخلا إلى قاعة الحانة المبنية من جدران السديان، جلسا أمام طاولة قرب النافذة. طلبا بيتر كأس شراب لداليا وتهوة له، ثم تصفحا لائحة الطعام. كانت داليا تعي ملامسته لكتفها، وتشم رائحة العطر الذي يستعمله بيتر فاجست عندما نظر إليها بحسب المخضراوين وهو يحدق بها خيل إليها أنه لا يجب أن تغرق في بحر شامع، فأدارت وجهها تنظر من خلال النافذة وتقول:

«لا شك أن هذه السديانة قديمة جداً، من أيام الاستعمار. أنظر إلى أغصانها الواسعة، ومن السهل أن يتسلقها الانسان».

«هل كنت تتسلق الشجر عندما كنت صغيرة؟»

أجابته في حين:

«أه، نعم. كان لطوني غريغ، كلبة تدعى لولي، وفي إحدى المرات طاردت عرواً حتى أعلى الشجرة، في حديقة منزلنا. فسلقت الشجرة لتأخذها، لكن تعثرت قدمي. ومن ثم ندمت وأقبلت عن تسلق الشجرة».

«هل تريد أن تقول أنك سقطت عن الشجرة؟»

«نعم، وأصبحت بألم في الظهر».

«هل تذكرين اليوم الذي سقطت فيه أمام عجالات سيارتي؟»

«كان الثلج ينهمر وكنت تقود بسرعة! لقد أزعجتني يوماً».

رفع حاجبه وقال:

«هل ما أزال أزعجك، يا داليا؟ هل أنت نادمة لكوني سأصبح ضوهداً؟»

توقف قلب داليا عن الخفقان ثم غاد يبتض بسرعة فقالت:

«ماذا... ماذا تقصد؟»

«ألا تفضلين طوني غريغ، مثلاً؟ لا تفتحي عينيك هكذا، ماذا جرى؟ الذي

أذنان صاعقتان ومنذ أسابيع علمت أن طوني غريغ كان صديق هيلين

وليس صديقك، وأنتى هزمت في آخر لحظة».

راحت داليا تقول:

«أنت رجل وفتح، يا بيتر، لمة يجب أن تبدو إنساناً فاسداً وعديم الأحساس أكثر مما أنت عليه حقيقة؟»

هس وهو يضحك:

«هس، يا فتاتي الصغيرة هذا سر لا يعرفه أحد... أن أكون عاطفياً، الجميع شعر

بضدمة عندما استسلمت للزواج، لكن معظم الناس يتنهمون هكذا... ربما بسبب

الوحدة وليس بسبب الرغبة. الرجل يعرف كيف يتعامل مع الرغبة، لكن الوحدة

شيء آخر».

«نعم... ما رأيك في خاتم الخطبة؟ لقد طلبت تصميمه خصيصاً لها»
«إنه رائع»

نظرت داليا إليه وفهمت من تدويره فمه الساخر أنه يبدو مبتهجاً وغير متحور. إنه فرح لأنه قدم هيلين زمرة خضرة محاطة بحيات الناس اللامعة وسرور أيضاً لأنه أهدى داليا عصفوراً من زجاج.

وبعد قليل وصلا إلى قرية صغيرة. تخلف بيشر من سرعة السيارة وهو يدخل الشوارع الضيقة بين المنازل القديمة. مروراً بسوق قديم وفي آخره أوقف السيارة في ساحة الحانة. كانت نوافذ الحانة صغيرة وأمامها شجرة جون قديمة وخصبة تسيطر أعصانها فوق الساحة.

سأل بيشر داليا وهو يمد لها يده لمساعدتها على الهبوط من السيارة.
«هل أنت جائعة؟»
«نعم، كثيراً».

المواء النقي فتح شهيتها، فنظرت حولها في اهتمام عندما دخلا إلى قاعة الحانة المبتية من جور السديان. جلسا أمام طاولة قرب النافذة. طلب بيشر كأس شراب لداليا وقهوة له. ثم تصفحا لائحة الطعام. كانت داليا تعي علامته لكنفيها، وتشم رائحة العطر الذي يستعمله بيشر. فاجتست. عندما نظر إليها يعينيه الحضراوين وهو يحدق بها. خيل إليها أنه لا يجب أن تفرق في بحر شاسع، فأدارت وجهها تنظر من خلال النافذة وتقول:

«لا شك أن هذه السديانة قديمة جداً، من أيام الاستعمار. أنظر إلى أعصانها الواسعة... ومن السهل أن يتسلقها الإنسان».

«هل كنت تتسلقين الشجر عندما كنت صغيرة؟»

أجاب في حين:

«آه، نعم. كان لطوني غريب. كلبة تدعى لولي، وفي إحدى المرات طارت هرة حتى أعل الشجرة، في حديقة منزلنا. فسلقت الشجرة لأتقنها، لكن تعسرت قدمي. ومن ثم نددت وأقلعت عن تسلق الشجرة».

«هل تريد أن تقول أنك سقطت عن الشجرة؟»

«نعم، وأضيت بالأم في ظهري».

«هل تتذكرين اليوم الذي سقطت فيه أمام عجلات ميارتي؟»

«كان الثلج يذهر. ركبت تقود بسرعة. لقد أزعجتني يومها».

رفع حاجبه وقال:

«هل ما أزال أزعجك، يا داليا؟ هل أنت نائمة لكوني سأصبح سهوكة؟»

توقف قلب داليا عن الحفظان ثم غاد ينبض بسرعة فقالت:

«ماذا... ماذا تفصدا؟»

«ألا تفضلين طوني غريب، مثلاً؟ لا تفتحي عينيك هكذا. ماذا جرى؟ لدي أذنان صاغيتان ومنذ أسابيع علمت أن طوني غريب كان صديق هيلين وليس صديقك. وأنتى عزمتي في آخر لحظة».

راحت داليا تقول:

«أنت رجل وفتح، يا بيشر. لماذا يجب أن تبدو إنساناً قاسياً وعديم الاحساس أكثر مما أنت عليه حقيقة؟»

«نعم أنت عليه حقيقة».

«نعم وهو يشحك».

«نعم، يا فتاتي الصغيرة، هذا سر لا يعرفه أحد... أن أكون عاطفياً، الجميع شعر بضدية عندما استسلمت للزواج، لكن معظم الناس ينتهون هكذا... ربما بسبب الوحدة وليس بسبب الرغبة. الرجل يعرف كيف يتعامل مع الرغبة، لكن الوحدة شيء آخر».

جاء الخادم حاملاً صينية الطعام. وخلال تناوله، دار الحديث حول موضوع آخر. ولم يتبادلا معاً المواضيع الشخصية وهذا ما أسعد دالياً. من ناحية إنها لم يتر كثيراً وليس بإمكانها فصل اعترافاته حول الوحدة. ولما غادرا الحانة وركبا السيارة، تكلمت داليا على نفسها وأسندت رأسها إلى الباب بعيدة عنه. وفي طريق العودة فوجئت داليا بذكر اسم غاري من وقت إلى آخر في الحديث مع بيتر بدأت تهتم به بصورة خاصة وبطريقة مختلفة. بإمكانها أن تضعه بينها وبين عواطفها تجاه بيتر وأن تصنع منه درعاً لقلبيها المضطرب.

قال لها بيتر:

«أنا سعيد لأنكما متفقان فيما بينكما. غاري إنسان موهوب، لكنني لا أريده أن يبقى مسجوناً مع الموسيقى. أريده أن يلهو ويستفيد من شياؤه ومن عشرة فتاة طيبة. عندما كنت في سنه لم يكن هناك وقت للهو ولا حتى للوقوع في الحب... وعندما أفكر بالماضي، يخيل إلي أن أحداً سرقني».

وعندما انعطفت في طريق الحبل نحو لاوتون، لمس ذراعها ذراع داليا. فلم تقل شيئاً، لكنها فهمت أنه يجب عليها أن تتجاهل الوجود وحدها معه في المستقبل. إن كل ما يقوله وما يفعله وأقل حركة من حاجبيه السوداوين، كل نظرة... كلها تعني لها أكثر مما يجب أن تعنيه حقاً. ولا يمكنها أن تسيطر على حبه وتهدى من هلعها تجاهه، إلا بأن ترفض هذا النوع من اللقاء الحميم... وحدها معه... حتى يصبح يوماً مثل أخ لأختها. قالت:

«لكنك فخور بكل ما حققته. أليس هذا صحيحاً يا بيتر؟ لديك قدرة على مساعدة الآخرين. وهذا مهم جداً».

«ما بك يا داليا؟ أنت تعملين في مركز الضمان الاجتماعي... ولا شك أنك تتعاملين مع أشخاص لا يمكنك فعل شيء لمساعدتهم، أهذا يؤثرك؟»

«أنت إنسان خاد الذهن، يا بيتر».

رجعت إلى الوراء وأسندت ظهرها إلى المقعد وشعرت بقلبيها يتبعض بسرعة. مرتبة فجأة من نظرتها الناقية. فأضافت:

«في الحقيقة...».

أمرها قائلاً:

«أخبريني».

فأخبرته عن قضية المنازل القديمة المقروضة أن تهدم وعن تور السكان لدى فكرة ترك هذه المنازل حيث أمضوا قسماً كبيراً من حياتهم. وأخبرته عن سام وورود، وعن روزي وهرتها. وانتهت تقول:

«هناك أرض يمكن لمجلس البلدية أن يشتريها، لكنها تكلفت أموالاً طائلة والبلدية جهاز يخيل في الدولة. هؤلاء العجزة سيدفعون الثمن».

«أنت تتأثرين كثيراً بشااكل الآخرين. أليس كذلك يا داليا؟»

أوقف بيتر السيارة أمام منزل سميك، ثم انكأ على المقود وزاح يتأمل الحانة ويشيفه.

«لا يمكنك أن تحبلي هموم الجميع على كتفيك التحيلتين. أنا لا أسمع لك بذلك».

قالت في استغراب محاولة الضحك:

«صحيح؟ أنا لا أعمل عندك يا سيد شيريدان؟ أليس عندك أوامري؟»

«قريباً ستصبحين أختي الصغيرة».

«وأنت تبتهني الآن أنك ستصبح أختاً سلطوبياً؟»

هز رأسه ومد يده أمامها. وقطع ياب السيارة ولحظة كان قريباً منها شعرت برغبة في أن تلمسه. فقال:

«لا تشبي الحديثين».

انفاسه لامست وجنتيها، فشبعت بالدعر، وانجنت على المقعد الخلفي وتناولت
الحديثين بسرعة، فابتسم لها ولبت عيناها وارتجفت شفتاه بسخرية، فقالت:
شكراً للطائر الأزرق، وللغدا، يا بيتر.

حسنت الباب ورائها ومن الثالثة أضافه يقول بأنه سيمر لأخذ هيلين إلى
السهرة، ثم انطلق. ظلت داليا واقفة تنظر إلى السيارة وهي تنمط في آخر
الشارع، وفي الوقت نفسه جثت عذبة عابرة شعاع الشمس وأصبح النهار
رمادياً، فارتعشت من البرد ودخلت إلى المنزل.

RED ROUS

قامت هيلين بشراء معظم جهازها من لندن، ورفضت داليا مراقبتها في
دورتها الجنوبية على المحلات الكثيرة:
«لماذا لا تريدن مراقبتي؟ إنها تسبب لذيذة أن تشري أشياء كثيرة عندما يكون
معك حساب مفتوح».

أجابها داليا:

«لدي عمل على القيام به يومياً».

أضرت هيلين قائلة:

«بإمكانك ترك العمل في الحال، كما فعلت أنا، وبيتر ليس مثل بقية الرجال،
إنه لا يحب أن يرى أخته الصغيرة تعمل وهو يملك أموالاً طائلة».
«أحب المحافظة على حريتي واستقلالي».

كأبت داليا مشتمة لرؤية هيلين تأخذ كل ما في وسعها من الرجل الذي
سيصبح زوجها قريباً.

«بدأت أصدق أنك إنسانة ذات عقل ضيق، يا داليا، إن بيتر يعشق أن
يكون كريماً، لماذا إذن لا أدعه يفرح لذلك؟ لو تدعين عزة نفسك جاليا وتأتين معي
في دورة المحلات، لتسلي معاً أفضل من أن أكون وحدي في الماضي كنت تحبين
مراقبتي عندما كنت أنوي شراء أشياء لي».

«هذا اعائد إلى زمن قديم...»

قالت هيلين وهي ترم شفتيها.

«حبل أن أعرف إلى بيترو أليس كذلك؟ أحياناً أتساءل إذا لم تكوني غيورة، أو الظاهر أنك متأثرة لما أقوله أنت غيورة لأنني سأصبح عما قريب ملكاً لشخص آخر»

لم ترد داليا عليها، إنما شعرت بارتياح لظنون شقيقتها في الواقع، لم تكن قادرة على احتمال فكرة الوجود مع هيلين و بيترو عندما يلتقيان في لندن على الغداء أو على العشاء.

هست هيلين بعصبية

«العشاء في مطعم ريترو أو إنك لا تعرفين يا داليا لا تفوتي هذه الفرص النادرة»

فجأة أعلنت العمة سوزان قائلة:

«الزواج المعقود من أجل منافع مادية بحث لا يمكن أن ينتج عنه إلا عذابات القلب للزوجين»

قالت هيلين ساخرة

«إنها عذابات القلب الفأخرة»

لم يكن غاري يتكلم كثيراً حول تحضير الزواج بين هيلين و بيترو وبعيداً لداليا أنه وافق على أن يكون الاثنين في تردد كما وافقت هي أن تكون الوصيفة الأولى.

صمت القسنتين عند خياطة كير في لندن وكانت المحلات كغفير التحل والبائعات مبتهجات وتشبهات والأقمشة خلاصة.

القياس الأول قامت به الخياطة جيرمين التي لم تتوقف لحظة عن الكلام وفعها ملياً بالدبايس والابر و داليا كانت تحس أن تبلغ الخياطة الفرنسية أحد الدبايس في أي لحظة لكن جيرمين قالت:

«أنت مثل أخيك تماماً، القياسات نفسها، ما عدا قياس الصدر»

«صحيح»

كانت داليا تشعر وكأنها ذمية بين يدي الخياطة التي كانت تطلب منها أن تدور من هنا وهناك بلا توقف بينما هي تشبك عليها اختاراً وأستاراً من الخريف وكانت تشعر بالاسترخاء والفتور وهي تصفي إلى ما يقال حول هذا الزواج المؤثر، الرابع بين ستمير بلا والأمير فتي الأحلام...مركباً يتسلون في القول إنها قصة حب من أروع القصص التي حدثت هذا العام، لم تكن داليا قادرة على الاشتراك في هذه اللعبة فقليلها لا يتحمل، وخاصة عندما يقال أن بائنة يتيمة وفقيرة تتزوج من رجل ثري وملياردير.

السيدة جيرمين تبسم برغم الدبايس بين أستانها وتلفتت إلى هيلين الجالسة بفخر على أحد الكراسي تحضر عملية القياس في اكتفاء وفرح.

«أنت، سفت، إن أخذك الصغيرة لطيفة ورائحة ما رأيك؟»

راحت نظرات هيلين تفصل داليا في قسائنها اليومية، كانت داليا تبدو عادية، لا أكثر ولا أقل، لكن هذه الغيوم الحمرية كانت تكشف عن وجود جديدة لشخصية الفتاة. واللون الأصفر الفاتح يسجم ولون بشرتها في طريقة رائعة وجذابة، عزت هيلين حاجبيها، تصف مدهشة، نصف - مبتهجة وقالت:

«فجأة تبتدين فتاة ناضجة»

وبعد الانتهاء من القياسات، ذهبت هيلين والوصيفات الست للقاء

غارى الذي اصطحبهم إلى صالة أنيقة تقع قرب مكاتب بيتر اللندنية وتناولت الفتيات هناك الحلوى والبوظة والقهوة.

وعلى حين غرة ظهر شخص طويل أمام باب الصالة. كانت داليا جالسة قبالة الواجهة، فنظعت على الكرسي عندما اقترب بيتر في حطى واسعة وأكيدة ورابت على كتف غاري وقال في ضحكة جارة:

«صعني أمام هؤلاء الفتيات الجميلات»

ابتسم غاري لولي أمره الذي قام بدورة حول الطاولة ليطلع قبله على خد هيلين. فاستقبلت الأمر في برودة ملكي ونظرت إليه وهو يسحب كرسيًا ويجلس بين داليا وضدقتها دربي وايت.

ثم سأل وكأنه اليأشأ يتفحص حريمه:

«إذن هل جرى كل شيء على ما يرام في منزل الحريرة»

أجابت دربي وهي تأكل قطعة الحلوى:

«كل شيء كان رائعاً سأرتدي الأزرق الفاتح و داليا الأصفر الفاتح. إنها رائعة في الأصفر»

«أدب صحيح»

توقفت العينان الخضراوان لحظة على وجه داليا الحالم. ثم التفتتا نحو هيلين فشعرت داليا بارتياح ونساءت. لماذا تصر أختها على كل هذه البهجة... وصيفات. فستان أبيض مطرز وباقات ورود حمراء...!

الورود الحمراء إنها دليل الحب، الحب التضحية! ولينست موجودة كي تضعها العروس التي تبغ نفسها للحصول على حياة سهلة وقاهرة.

قال بيتر فجأة مزحياً حديثه إلى داليا:

«تبدن حزينة على ما أظن. ألا تريدن أن تكوني وصيفة لأختك»

إنه يتكدها لكنها لمحت عندما التقت نظراتها بنظرته. إنها على حق في أن تتخاشه بقدر المستطاع. إن جنبها له يتطور وليس كما كان عليه في السابق. وأن تكون معه حتى بوجود أشخاص آخرين. أصبح ذلك غذاءً كبيراً لها. وفي هذه اللحظة، كانت في حاجة إلى التهورض والهرب. لكنها مضطرة أن تبقى جالسة مكانها. وينسم وتكذب.

«إن أكون إنسانة طبيعية إذا كنت لا أرغب في ارتداء فستان رائع بلون الزهر الأصفر».

أعلن بيتر وهو ينظر إلى الجمع:

«عندما تفرغن من تناول الحلوى، يا أيتها الأنسات الجميلات، لدينا موعد عند مجوهرات كارتيه. اعتقد أنكن تحسن المجوهرات المعلقة بسلاسل كهديدية تقليدية».

فرحت الفتيات وابتهجن هذا الكلام وقالت هيلين لخطيبها:

«يا هذا الكرم، يا بيتر، وكم أنت ذكي لتعرف ما يعجب الفتيات»

قال ساخراً:

«إنها تدانخني، وتزيدها».

«كنت استدحك، يا حبيبي»

وعندما مدت هيلين يدها نحو اليد الموضوععة على الطاولة، لعت جبات الماس من خافها. فأصنك بيتر بيدها وقال ساخراً:

«جزيرة الزمرد المحاطة بالماس الانكليزي، عربون حبي لك، يا ساحرتي الجميلة».

كانت داليا حاضرة في هذه المناوشة الصغيرة ورأت هيلين تفلت يدها

من يد بيتر ويقول له بحفاف:

«هيا بنا، الآن».

تهدى الجميع للحال وأمسكت دريبي بذراع داليا. عندما خرجنا من صالة
الغاري وهبت:

«أليس هذا رائعاً أن يشترى لنا السيد شيريدان هذه السلاسل والمجوهرات،
ألا تعجبين إنساناً رائعاً؟»

نعم، إنني أعشقه. كاذب داليا أن تصرخ، ويقول ذلك علناً، في صوت عال،
وتضمد الجميع وتسخر منهم. نعم، إنني أعشق بيتر شيريدان ولا تهمني ثروته
بقدر ما تهمني شخصيته.

وبدلاً من ذلك، ابتسمت لدريبي وأجابتها بأنه إنسان كريم جداً.

اقترب غاري من الجهة الثانية وقال:

«أربعة أشخاص سيذهبون في سيارة الفاكسي إلى محلات كارتييه، والياقون
سيستقلون سيارة بيتر».

قالت دريبي: «بينما كان غاري يوقف السيارة:

«إنني أعشق ركوب الفاكسي».

وصعد الجميع في السيارتين، وظلت داليا صامتة ولم يتبها لها أحد وذلك
بسبب ثروة بقية البنات.

المجوهرات التي أوصى بها بيتر للوصيفات كانت على شكل قلب بحاط
بدائرة ذهبية ومعلق بسلسلة دقيقة.

قالت دريبي لبيتر:

«إن مجوهرتي رائعة وسأضعها وأنا في السرير وأنا أكيدة أنها ستجلب لي حظاً

سعيداً، يا سيد شيريدان».

أجابها بيتر متأثراً:

«أريدها أن تجلب لك الحظ يا صغيرتي».

قال غاري وهو يحمل حيازة الياقوت الأزرق (السافير) وينظر إليها
باعجاب:

«دعيني أرى مجوهراتك يا داليا، إنها رمز الاخلاص، أليس كذلك؟»

رفضت هيلين حاجبها الرقيقين، وقالت:

«يمكنك أن تتأكد، يا غاري، أن داليا دائماً مخلصة».

التفتت داليا بسرعة إلى بيتر الذي كان يشعل سيكارة وعينه تحدقان
هيلين.

لاحظت داليا نظرات بيتر المصوبة إلى هيلين، فخطفت انقاسها ثم
شهدت ببطء وهي تفكر بأقوال عمتها فيا يختص بيتر، خاصة حين قالت: «إذا
تزوج بيتر من هيلين، ستصبح ملكة بصورة نهائية، وسيظهر منها وريثه
والاخلاص التام وسيضطر إلى أن تؤمن له الأثنين معاً». وتلك النظرات كانت
تعني فعلاً ذلك.

وفي الأسبوع التالي، بدأ غاري يشترى بصورة جديدة استعداداً لحفلاته
الغنية حيث سيعرف بعضاً من مقطوعاته الجديدة والقديمة. وستتم الحفلة في
صالة الحفلات في مدينة برايسون، قبل أيام معدودة من حفل الزواج الذي
سيحفه بين بيتر و هيلين.

لذلك لم تر داليا غاري إلا نادراً وكانت سعيدة بهذه الاستراحة. ذلك أنه

بدأ يلح إلى خطبة بينها، ولا شك أنها بدأت تكن له عطفاً ومحبة. إن شعوره الرهيف ولطيف ومودته ليست سوى فضائل نادرة في عصرنا هذا، وعندما يقول له إنه في حاجة إليها، كانت تعرف أن ما يقوله صحيحاً، كما كانت داليا ترغب في فعل حبهما ليتر بين أحضان غاري، لكنها ما زالت بحاجة إلى وقت طويل قبل أن تفتح بضرورة الزواج منه.

وفي منزل عمته حيث تعيش داليا، من المستحيل أن تجد وقتاً للتفكير بالمنزل مقلوب على بعضه البعض بسبب تحضيرات العرس، حفلات هيلين يتواقدن باستمرار، والعرض سيم في كنيسة لاوتون، وغزل الزواج في فندق قريب، لكن التيارات الرولس وريس ستأخذ العروس والمعرّفين من منزل عمتها.

وبنار السبت، صباحاً، شعرت داليا أنها تخلصت من هذه الضوضاء لمدة ساعات قليلة، النهار كان حاراً ورطباً، ففكرت أن تقوم بنجعة طويلة على الأقدام في أعلى الجبل. ركبت باصاً أوصلها إلى الفلال المكسوة بالعشب الأخضر، وحيث بإمكانها أن تجد الهدوء بين الأزهار البرية والعصافير المغردة وقطبان الغنم والماعز. وبعدما نزلت من الباص، تسلفت تراً متخرجاً وعالياً إلى درجة أنها سمعت الريح تعصف وتمهد. ثم اختارت بقعة مليئة بعشب الخشخاش وجلست هناك وأخرجت من حقيبتها بعض السندويش وأكلت، ثم جلست رافعة ركبتيها، مكثفة اليدين حولها، وحيدة، لا يزالها سوى قطيع بعيد من الغنم، وتحلق العصافير في السماء الزرقاء.

أخيراً وجدت نفسها وحدها مع أفكارها، حرة في أن تتأمل الحوادث التي حصلت خلال الأسابيع الماضية، بينما كانت الحشرات منهكة في أعمالها من دون

مشاكل والفراشات تحلق من زهرة إلى زهرة. إذا قبلت بالزواج من غاري، سيفرح عمها وعمتها هذه الفكرة. إنها يحبان هذا الرجل محبة كبيرة. سبق وقال لها عنها منذ أسبوع إن غاري هو من نوع الرجال الذي طالما حلم بأن تعرفه. داليا إليه يوماً.

وضعت داليا ذقنها على ركبتيها وتساءلت لماذا تحب بيتر. وغاري يتحلى بصفات ومزايا عديدة يمكن أن تعجبها. إنه شاب وسم وفنان كبير. كانت تريد أن تحبه، لكن هناك بيتر... بيتر.

وبعد تأوه جزيل، قدّدت داليا على العشب، ورأسها بين يديها، أغلضت عينيها وتمنت لو بإمكانها أن تبقى هنا مكانها، وألا تعود إلى المنزل، إلى العالم، حيث بدأت الحياة تبدو لها معقدة وغريبة.

كانت نصف نائمة عندما سقط ظل عليها. ظل طويل بقي جامداً لا يتحرك إلى أن أفاقته داليا والتفتت وسمعت صوتاً يقول:

«صباح الخير، يا حورية».

أصابت يدوان بيتر... هنا؟ ثم استعادت وعيها وابتنست له وقالت:

«صباح الخير، يا جيل».

كان واقفاً فوقها وبدأ لما كان رأسه في السماء الزرقاء التي بدأت الغيوم تليدها. فالعاصفة قريبة، كان بيتر يضع على كتفيه شتره خضراء وعلى فمه إصاصة إيرلندية معيرة.

«تنامين مثل طفلة. إنني أسف لاحتلال هذا المكان».

«لم أكن نائمة، بل مستلقية في هدوء. يا هذه المفاجأة، يا بيتر في مثل هذا اليوم الحار والرطب لم أكن أتصور لقياك هنا، بل ربما في حوض السباحة في بلندير».

قال وهو يحاول الجلوس قريباً:

«أخيه إلى هنا مراراً للشرب. أصعب بالاسترخاء والمهدوء بعد أعمال المكسب التي

تجبرني على البقاء في الداخل وقتاً طويلاً. هل تخمين أن تدخني سيكارة؟»

قدم لها علبة وداخلها سكاثر تركية وأميركية. اختارت داليا سيكارة

أميركية. والعينان الخضراوان تلمعان كحجارة الجاد في وجهه الأسمر اقترب منها

عندما أراد أن يشعل لها سيكارة.

وغريزياً ابتعدت عنه واستندت كوعها على العنكب وقالت له:

«خذي عن أفريقيا. هل هي قارة جميلة؟»

«جميلة؟ إنها بلاد واسعة ومهجورة وتدعى قارة الرجال. حيث النساء مدلات أكثر

من الذكرا».

«هل قلت طيلين أنك تنوي العودة إلى أفريقيا؟»

سألتا بحرية:

«هل تتصورين أنها ستعارض ذلك؟»

«الذي فكرة أنها تعتبر أفريقيا مثل مكاننا».

«ستغير نظرتها عندما نذهب إلى هناك. إن المحلات كبيرة وفاخرة وستحبها.

وحياتنا العصرية متأقفة مثل لندن وباريس. أنا أعيش في الريف لكني

أملك طائرة خاصة وأقوم بسفريات مستمرة. وستكون هيلين فرحة للأهتمام

الذي سلقاه هناك».

نظرت إليه داليا وانتهدت لرؤية تعبيره القاسي والمجازف: تعبير لاعب

جائع، مطلق العنان.

تناولت نفساً عميقاً من سيكارتها. كان بيتر يراهن على حب هيلين

ونساءت داليا. كيف بإمكان شقيقتها أن تكون عمياء بهذا الشكل. الأخرى

أنها ستزوج من رجل عنده طاقة على الحب يجنون؟ إنه رجل مستوحش. وقد

افتقد طيلة حياته الخيال الحقيقي. وهو مستعد ليحب امرأة شابة حتى العجاجة...

ضحج هذه الأفكار أحرق عيني داليا وبدأ قلبها ينبض بسرعة عندما

تأملها بيتر وهو يغمر بعينيه الخضراوين.

همس قائلاً:

«يا للعجب. أنت لا تشبهين هيلين أبداً».

«أنا لست جميلة مثلاً. ولا تشبه بعضنا إلا من وقت إلى آخر».

«أنت متلاشمة. يا داليا. ومستعدة للأطلاق من لحظة إلى أخرى... كيف حال

الطائر الأزرق؟ ألم ينكسر بعد؟»

«كلا. إني أشتي جيداً بأغراضي».

«وتحافظين على كتوز الطفولة. أليس كذلك؟ السديب الأبيض الذي يتسام في

مزيرك. والدمية التي غاب اللون عن وجهها».

كانت فحمة خفيفة ومناكدة. فاجر وجه داليا هكذا إذن. فقد باحت له

هيلين بعض الأسرار. ولا شك أنها ضحكتا وهزتا متها وهذا ما يعجبها.

أجابت:

«هيلين. تنكسر كل لعبها. كانت هكذا دائماً. فلم تحب أي شيء وقتاً طويلاً لكن

تعلق به».

«أنا أعطي ذلك قاسماً. كما تكون في الصغر تصيح في الكيز... مثل النمر. لا

يمكنها أن تغير خطوط جلدنا».

«بيتر»

لمست داليا كم شترته تم سألت في صوت لاهت ومبهور عن عزف غاري في هذه الأيام الأخيرة وعن سموره حبال اقتراب مرعد الحفلة الموسيقية. كان يجب عليها أن تذكر باستمرار وفي كل لحظة، ألا تترك عواطفها تجاه بيتر تسيطر عليها. اللبس مخزع، تسحب يدها بسرعة وتطفت زهرة صغيرة بيضاء.

وبدا الحديث يدور حول حفل غاري والسهرة الموسيقية. سألتها هل تعرف أن مظلوعة حورية القاب ستكون جزءاً من البرنامج المقرر هزت رأسها ولاحظت إشيامة بيتر الخاطلة. ثم رفع عينيه الخضراوين نحو السماء حيث تمر الغيوم المهددة بقرب العاصفة. والنسيجه ياسالك ضخمة. المصافي تغطس من السماء وهناك ربح ثقيلة تجلب معها دويًا بعيداً أتياً من البحر. قال بيتر وهو يقف فجأة:

«أنا أكيد أن العاصفة قريبة. تعالي يا داليا. حان وقت العودة».

أمسكت داليا باليد الممتدة نحوها وشعرت بأصابعه القوية تضغط على أصابعها عندما رفعها وافقة.

«عشت من دون أن تنظر إليه. وهي تنفض العشب المعلق على مر الماء. نحن ذاهبان في اتجاهين معاكسين سأستقل الباص وأعود إلى لاوتون».

قال من دون أن يفلتها:

«كلا. أفضل لك أن تأتي معي. إن الباصات لا تمر في الوقت المحدد. وستتأخر كثيراً عندما تندلع العاصفة وتهصر الأمطار الغزيرة. تعالي معي إلى بلفدين. وتناول الشاي معي ومع غاري. ثم أعيدك إلى المنزل. لدي موعد مع هيلين. وأيضاً لك لن يكون إزعاجاً لي».

كان من غير المجدي معارضته. لأنه سيجبها وأخذها في الاتجاه المعاكس الذي يؤدي بها إلى بلفدين. صمت غريب يحجم على الجدل. ثم عصفت الرعد ولع البرق في السماء الفاتحة.

انقضت داليا من دوي الرعد ومن ذراع بيتر حول خصرها. كان يجبرها على الركض تحت المطر المفاجئ. نحو طاحونة بيضاء كانت تدور بتأثير الريح. دخلا من الباب المفتوح وكان الداخل مظلماً وخالياً من أي مخلوق. وصوت ضحكاتها يتردد. وهما يتحان قطرات المطر عن وجنتيهما. وفي الخارج، الصاعقة والرعد والبرق، تنبوي مثل سلاح المدفعية.

«لحسن حظنا وجدنا هذا الملجأ! يا إلهي تسيت أن الطقس سيء في انكلترا».

كانا يلطران إلى البرق يخترق السماء. داليا ما زالت تشعر ببيتر من وراء كتفها. وعيناه تلعبان في العتمة. كأنها مزلة حيوية وطاقة. إنه رجل يحب المخاطرة. رجل يمكن مشاركته في الخطر من دون خوف. وتعبيرها قشعريرة لا تحتمل.

قال:

«أشعر أن قلبك يخلق بقوة بين يدي. هل أنت خائفة؟»

هزت رأسها. لم تكن خائفة من العاصفة. بل من بيتر. من نفسها. من رغبتها الجارحة أن تعبد نفسها بين ذراعيه وتشعر بها تضغطان عليها بقوة. أغضبت عينيهما. خجولة من هذه العاطفة التي تكبتها لرجل قللكه أختها. الجميلة والفاتحة. التي تحطم الأشياء بعد أن تقل منها.

وظلت العاصفة تدوي في قوة مدة نصف ساعة. ثم بدأ المطر الغزير يهدأ والريح تصفق وجه داليا الحار وبعد دقائق تمكنا من الخروج من هذا الملجأ.

أشرفت الشمس كأنها تعتذر لما حدث. ولما وصل إلى بلقيس كانا مبللين من العشب الغالي الذي ما زال يرشح بمياه المطر.
دخلوا معاً إلى القلعة واقترح بيتر على داليا أن تأخذ دوشاً ساخناً وتغير ملابسها المبللة فاحتجت قائلة:
«وماذا سأرتدي بعد أن أخلع ملابسني المبللة؟»
«سأجول إيجاد شيء لك».

و فكرت داليا أنه ربما سيعطيها سروالاً واسعاً وكثيرة عريضة.
ولمحت الدوش شعرت داليا بالانتعاش والدفء. وراحت تفرك جسمها بالصابون العطر وتنشف بمنشفة كبيرة ساخنة. ثم لفنتها على جسمها ودخلت إلى الغرفة المجاورة حيث وجدت شيئاً حريراً ممدداً على السرير. تناولته داليا ولاحظت أنه قستان فضفاض يدعى كيمونو ياباني، رائع وأكمامه العريضة مطرزة، بلون الذهب ومن قماش الحرير السميك.

خفق قلبها وارتدت. وعقدت الزنار ثم تفحصت منظرها في مرآة متضددة الزينة، الذي يلقى بها قائماً، وبشرتها تبدو كالحليب قرب الحرير المذهب.
أعجبت بصورتها في المرآة وتعثرت قدمها بشيء لاصق في أرض الغرفة قرب السرير فالتفت وإذا بها تكتشف حذاء يابانياً مذهياً، فانتعلته ببساطة. ثم راحت تداعب الحرير بين يديها وانتفض قلبها عندما سمعت طوقاً على الباب. فتفتحه ورأت دوتوفان، الذي قال لها وهو يرتسم مظهرها أسنانه البيضاء:
«سأخذ ملابسك المبللة لأجففها يا أنسة. ستهدين كالفراشة، لو سمحت لي بهذا الشيء».

بادلة ابتسامته وقالت:

«سأجلب لك قميصي وسروالي».

ولما أعطته إياها ابتسم لها مرة أخرى ابتسامة عريضة تدل على أنه إيرلندي عتيق.

«قال لي بيتر إن عليك موافاته إلى غرفة الموسيقى لاجتماع الشاي».

«هل هذا الكيمونو من اليابان حقاً؟»

«بكل تأكيد يا أنسة. إن بيتر يجب جمع الأشياء الجميلة عندما يقوم بزيارة أي بلد كبيراً كان أم صغيراً. وكذلك يحسب تقديم ما يجتمع لأصدقائه. إذا لعبت دورك كما يجب، ستأخذين هذا الكيمونو الجميل معك».

أضاعت داليا ابتسامتها وأجابته بجفاف:

«لم يخطر ببالي أن أخطئ من أجل زي ياباني».

قطب دوتوفان حاجبيه وقال:

«النساء لا يبحثن إلا عن شيء واحد وهو الاستيلاء على أشياء واحتكاكها. ثم يخرجن من الرجل ويهملنه، أتريدين أن أقول لي أنك امرأة مختلفة عن بقية النساء».

«يبدو لي أنك تتدخل بأشياء لا تعنيك، يا دوتوفان».

«نعم، ربما أنت مختلفة. لكن بيتر وشقيقتك سيشتاجران كالقطط لأن في داخل كل منهما شيطاناً. إذا داعبته المرأة فلي يكون شريراً، لكن هذه الانبساط الجميلة، شقيقتك ليست من النوع الذي يداعب».

خرج دوتوفان فلفحت داليا بيتر إلى غرفة الموسيقى، وأمام الباب وقفت تتأمل مسكنه ولا تجد شيئاً في الدخول والنظر إلى بيتر الذي سيتزوج من أختها بعد ثمانية أيام. إن مخاوف داليا لم تأت من العبرة. أن

بجيبها بيتر، كان هذا بالنسبة إليها حلماً مستحيلًا... لكنها كانت تمنى من كل أعماق قلبها أن تحبه هيلين في صديق وإخلاص.

فتح غاري عينيه الواسعتين عندما دخلت داليا إلى غرفة الموسيقى وأسرع بحسك يدها ويقول:
«تشيون زهرة اللوز، بيضاء ذهبية».

أجابته ضاحكة وهي تلحقت إلى بيتر:
«دورفان قال لي إنني أشبه الفرائشات. هذا الكمبيوتر رائع. شكراً لأغارته لي حتى نجف ملاهي».

«إنه يلقي بك كثيراً يا داليا. أحب أن تحتفظي به».

هستت في حيرة وارتماك:
«وأي أي مناسبة بأرتميه، يا ترى».

«غالياً جداً... والآن تعالي واخفي احمرار وجهك في فنجان شاي».

RED ROUS

٦ - اليوم القريب... البعيد!

الساعة التي تلت كانت ممتعة لداليا. كان غاري جالساً في ارتياح منذاً قدميه، يتأمل داليا وهي تأكل البسكويت والحلوى. احتسب بيتر عذبة فطاجين شاي ودخن أكثر من العادة. وراح يتحدث عن اليابان وعن البلدان التي زارها وهو يقوم بأعماله وعن الغسق الذي يعطل وراء النافذة. توقفت داليا ألا تنتهي هذه الساعة أبداً.

ألقي بيتر نظرة سريعة إلى ساعته وأطلقاً سيكارته وقال:
«حان الوقت لأعد نفسي وأرتدي ثياب السهرة».

وبينما كان يتجهض من مقعده المريح وراح يتأمل داليا الممددة في ارتياح على مقعد مماثل. وقال لها:
«لن استعجلك إذا كنت تريدان البقاء مع غاري مدة أطول. أعرف أنكما لم تريا بعضكما في الأسبوع الماضي».

قال غاري في استغراب قبل أن يصنى لداليا الرد:
«أنت رجل متفهم يا بيتر. نعم، أرجوك. دع داليا هناك».

«سأقول لعنتك أنك مع غاري وأنه سيوصلك إلى المنزل فيما بعد».

ذهب بيتر وأغلق الباب وراءه وفجأة بدت الغرفة باردة بالنسبة إلى داليا. فانتفضت عندما أمسك غاري يدها. كان يشم وقامت بجهد لفرد بائسامة

قائرة. إن دخان سكارو بيتر ما زال يعنى في قاعة الاستقبال. وهو يشكل
ججالياً بين غاري وبينها. إن اليدين اللتين تسان يديها كانتا ناعمتين
ونجبتين. ولا تسجيان أيداً مع أيدي عمال المناجم القاسية.

قال غاري:

«كان بيتر يدخن كثيراً. هل تعتقدن أنه يعاني من خوف كما هي العادة عند
الأشخاص الذين يستعدون لخوض معركة الزواج؟»

«ربما. إن الرجال الأقوياء ليسوا دائماً محصنين ضد هذه التجربة المصيرية. تجربة
الزواج».

«لن يكون زواجنا مصحوباً باحتفال ضخم وأنت لا تريدين الحزير والساتان
والصنوبرين أليس كذلك. يا داليا؟»

شعرت داليا باختناق داخل حنجرتها. لكنها لم تحاول إخفاء قلقها. إذ أن
غاري ظهر رأسه بين يدي داليا وقال متوسلاً:

«قولي لك ستتزوجيني. ليس في امكاني التفكير بشيء آخر غير أن أكون معك.
في ديكور رومنتيقي. وفي أصبعك خاتم الخطبة. حتى اللحظة الموسيقية فقدت
كل معناها. فوجهك يظهر أمامي في كل لحظة وصوتك يهمني في أذني... لا أحد
غيرك... غيرك... أنت».

وفي تأوم وحسرة. رفع يدي داليا على شفتيه الساخنتين ومدّ قفحه إلى معصم
يدها حيث يخفق نبضها في غير النظام. قسأها:

«هل أطلب بحقيقتك؟»

الحب يعضها ويؤلمها:

صرخ غاري وهو يرفع عينيه نحوها:

«بالنسبة إلي. فالحب يخيفني. إنه شيء مرعب أن تصبح الحبيبة للعالم كله بالنسبة

إلى الحبيب. أن تضيئه بإشعائه. وأن توقعه في الظلمات في تقطيعه حاجب...».

سألت داليا في لهجة خفيفة متأثرة:

«هل تقصد أنني أظن حاجبي غالباً؟»

إن رغبته الجازفة وعنف حبه هي أمور حتمية كما يبدو. فأجابها:

«أنت لا تقطين حاجيك. يا حبيبي. لكن من وقت إلى آخرتين بعينة مثلي.

تبتعدن في أفكارك وأنا أشعر بالضيق. أحاول أن أبحث عنك. من دون جدوى.

أريد أن أملكك... أن أصل إليك...»

لمسها ونمض واقفاً. وأوقفها معه وضمها بين ذراعيه وراح يعانقها في عنقب

وحنان وهي حاولت التخلص في البداية. ثم وضعت يديها على عنق غاري

وراحت تداعب رقبته وتستسلم لهذا العناق.

قال ونمض على شريان عنق داليا النابض:

«أنت تحبيني! أه. يا حبيبي. كنت أشك في ذلك... لكن لا يمكنك أن تكوني

هكذا بين ذراعي وتستسلمي لعناقتي. إذا كنت لا تحبيني».

كبت داليا زفرة. ما شعرت به حياء بيتر جعلها قابلة للتوتر أكثر من

اللزوم. وما حدث بينها وبين غاري لم يكن سوى تسكين جسدي في فراع

شاب جذاب يحبها حتى الجنون.

أفلتت منه وابشعدهت عنه. ووجهها أحمر وساخن. وضع غاري يده المتوترة

في شعره وقال:

«إنني أسف لما حدث الآن. يا داليا. لم يعد في امكاني الصبر أكثر من هذا. يجب

أن تتزوج... وفي أقرب وقت».

قالت في تلعب:

«غاري... إنني... أرجوك. أعطيني بعض الوقت لأفكر في الموضوع...».

صرخ وفي عينيه شغف واضح:

«كيف في إمكانك أن تعانقيني كما فعلت ثم تطلين مني الانتظار»

شعرت بالحجل، إنها تكن له محبة كبيرة ولهذا تريد أن تكون ضريحاً ضعه حتى

النهاية، فقالت:

«الزواج يدوم مدى الحياة، يا غاري، لا أريد أن تكون عظيمين حول حفيضة

عواطفنا».

«أنا أعرف جيداً حقيقة عاطفتي تجاهك، يا داليا، تريد أن تفهميني إنك لا

تسعين تجاهي بالعاطفة نفسها».

«إني ... إني أكن لك المودة والاحترام...»

«يا إلهي، يا داليا، كيف تتغيرين بهذه السرعة».

أجرت خجلاً وقالت:

«هل تصور أن النساء مختلفات من الرجال، يا غاري؟ نحن أيضاً نطلق العنان

لعواطفنا ثم نهدأ... وأنت لست بالنسبة إلى الانسان الذي لا أبالي به».

«لكنك لا تتخطين مثلي في الزمان المتحركة، حتى الرقبة، أنا الذي أريدك في كل

لحظة، ماذا يمكنك أن أفعل، يا داليا».

كانا يتفرسان ببعضهما البعض في عتمة الغرفة الصامتة، ثم سأل غاري

في صوت مشرد:

«هل هناك رجل آخر».

السؤال كان صدمة لداليا، فتراجعت إلى الوراء، إلى المقعد الذي كان يجلس

يجلس فيه، وتعلقت بالمقعد وقالت:

«أنت الشاب الوحيد الذي أخرج معه».

وفي الوقت الحاضر، نعم، لكن أسأل ما إذا كان لديك في الماضي رجلاً آخر

أليس هذا الطبيب طوني غريغ صديقك القديم؟ كلما التقيت به لا تتصرفين

معه بشكل طبيعي».

«طوني كان يريد هيلين، لا أنا».

فجأة افتتح الباب وبدأ دولوفان على عتبة غرفة الموسيقى وسأل:

«هل تريدان تناول العشاء هنا أو في غرفة الطعام».

أجابت داليا وهي تستعد للخروج:

«في غرفة الطعام».

وتبعها غاري في حزن.

بعد العشاء قررت داليا العودة، فاستقلاً السيارة التي قادها غاري في

صمت طيلة الطريق، لكن عندما توقف أمام منزل آل سميث، أمسك بيدي

داليا وقال هامساً:

«لا أريد أن يؤثر ما حدث في المساء على جينا، أن أحبك ولا أحصل عليك، عذاب

كبير، لكني لا أريد أن أخسرك نهائياً».

قالت في استغراب وهي تطيع قبلة على خدي:

«لا تبال يا غاري، ما أطلبه هو بعض الوقت».

ولدت من السيارة وحينئذ وهي تشير بيدها وتنظر إلى السيارة وهي تطلع، ثم

دخلت ممر الحديقة وهي تجر قدميها، متعبة ومثقلة، المنزل كان صامتاً وخالياً.

هيلين خرجت للمسيرة برفقة بيتز عمتها سوزان وعمها هاري، يتصيان

إلى نادي راقص حيث تقام كل مساء سبت حفلة راقصة لن يعودوا إلا بعد

ساعتين على الأقل، فدخلت داليا إلى المطبخ وأعدت لنفسها فوجان شاي

وصعدت إلى غرفتها لتنام.

صباح الاثنين استيقظت داليا وحرارتها مرتفعة ولم تجرؤ على النهوض من

سريرها. ولما رأتها عمتها في هذه الحال أسرع في إحضار الطبيب.

لم يكن الدكتور غريب العجوز الذي وصل بعد ساعة، لكن ابنه طوني. ولما دخل إلى المنزل، قام بحركة متردة وقلقة وأسربت العملة سوزان نظمتته وتقول:

«فجئت هيلين إلى لندن».

«جئت مكان والدي. إنه مريض ومصاب بالانفلونزا التي تعم البلاد».

«آه، يا طوني، إذن داليا مصابة بالمرض نفسه. إنها تشعر بألم في كل أنحاء جسمها وهي بالكاد تستطيع الكلام».

كانت داليا فعلاً مصابة بدء الانفلونزا ولكن طوني أكد لها أنها ستشفى منه قبل السبت، موعد الاحتفال بزواج هيلين وبيتر.

وخلال أيام الأسبوع كان المنزل مغلوباً على نفسه البعض وكانت داليا تحاول جهدها أن تبدو سعيدة بكل ما يدور حولها. كانت تتعق نفسها بأن المرض هو الذي يؤثر أغصابها إلى حد أنها بدأت تمكهن بحدوث أشياء غريبة.

عندما عاد طوني في منتصف الأسبوع، أعلن أن صحتها في تحسن ملموس وأن في أمكانها مغادرة السرير لساعة أو ساعتين خلال النهار.

قال لها:

«لا شك في أنك ستنت كل ما يحدث هنا من أجل التحضير لحفل الزواج. الشاحات المحملة بعلب الهدايا وساعي البريد حاملأ الرسائل...»

ولاحظ وجود ثوبين طويلين في أكياس شقافة مغلقة في الحزانة المفتوحة... ثوب أبيض يلعب كالنلج ومطرز بحبات اللؤلؤ فقال وهو يتصنع الابتسام:

«يا له من ثوب جميل. ستبهر هيلين رائعة حقاً».

ومن خلال المرأة، رأت داليا وهي في سريرها وجهها يتقلص ألماً فأشاحت

عن المرأة بسرعة ونظرت من خلال النافذة، من دون أن ترى شيئاً.

هس طوني قائلاً:

«قول الحقيقة يا داليا، أصبح أن هيلين تتزوج من بيتر شيريدان من أجل المال والحياة السهلة التي يمكنه توفيرها لها».

فوجئت داليا لكنها قالت لنفسها إن طوني تألم من الحيرة بما فيه الكفاية

فقلت:

«ليس في الكون امرأة تتزوج من رجل فقط من أجل الأسباب التي ذكرت، وهيلين امرأة قبل كل شيء، عليها أن تحب... وأن تحب».

أشعة الشمس التي تخترق النافذة تلمع في شعر طوني الأشقر، لكنه عندما نظر إلى داليا بدأت عيناه حزنتين:

«هيلين تحب المال منذ أن عرفتها، وكانت دائماً تحلم بأن تصبح امرأة معروفة. أنت صديقة في تلك أنها تحب شيريدان، لكنني أعرف في أعماق قلبي، أنها ستعيش مع بيتر في جحيم من عذابات القلب، إذا اعتقدت بأن بيتر يحبها».

قالت له داليا وقلبي ينسحق:

«إنه يجربها، يا طوني. إنها مأساة أن يحب الواحد الإنسان الذي ليس في إمكانه أن يبادل هذا الحب».

ثم قررت تغيير هذا الحديث المؤلم وسألته ما إذا كان في إمكانها أن تخطو حفلة غاري الموسيقية في برايتون مساء اليوم التالي.

وأضافت وهي ترى طوني متردداً:

«ستذهب في سيارة بيتر و غاري يصير على حظوري ولا أريد أن أخيب أمي».

«لم يكن أبي الذي يعالجت لنصحتك بفضاء يوم آخر بكامله في السرير لمرضه
القرف على الأقل، لكن عليك الخروج إذا أردت ملائمة سيكتف»
«كيف حال والدك؟»

«لا بأس، عندما يمرض والذي فهو يحتاج إلى وقت طويل قبل أن يشفى
تركته ممدداً في مقعد مريح في الحديقة وأمل أن يظل هناك عندما أعود إلى المنزل
بعد انتهائي من زيارة المرضى. على فكرة، لدى مريم يشفي الشفاء المستقر»
فتش طوني في حقيبته ولم يجد. فقال:

«لا شك أنني نسيت على مكتبي. سأمر بعد قليل وأحضره لك»
قالت داليا وهي تعرف أنه مشغول بزيارة المرضى ويحل مكان والده في
كثير من الأمور:

«أرجوك يا طوني لا تزعج نفسك من أجل ذلك»
ابتسم لها في حزن وقال:

«سأجد الوقت المناسب لأزورك. لا تقلقي. هيلين تريد أن تكون وصيفتها
الأولى جميلة يوم السبت».

بعد ذهاب طوني، نهضت داليا من فراشها وجلست أمام منضدة الزينة
وراحت تتأمل في المرأة ملامح وجهها الشاحب. يا لهذه البلية العاطفية التي
تعجت عن هذا اللقاء مع بيتر تحت الثلج لو لم تقع، لمرت سيارته من دون أن
تلمحها ولكانت أكملت طريقها إلى البيت مشياً على الأقدام.

أطلقت زفرة وتناولت المشط وزاغت تسرح شعرها. ثم ذهبت إلى المطبخ في
متزها الأبيض حيث كانت تفوح رائحة الطعام والحلوى التي كانت تعدها
العمة سوزان.

قالت لها عمتها في ابتهاج ومحبة:

«صباح الخير يا حبيبتي. قال لي طوني إن في إمكانك النهوض لبعض

الوقت. داليا في كسل في كرسي هزاز تاركته عمتها تسترسل في الكلام.
العمة سوزان في لندن تشترك مع بيتر في ندوة صحفية ينقلها التلفزيون.
العمة سوزان كلامها وهي تضع على الطاولة قالب الحلوى وترش
بالحلوى السكر.

سوزان عندما إذا اضطرت يوماً إلى الوقوف أمام عدسات الكاميرا وينهال على
المصورين بأشبه الوثقة. لكنها اعتقد أن اختك قادرة على مجابهة أي وضع
تجد نفسك فيه. أنت تعلم أن جرحاً جرحاً.

العمة سوزان الثقة التي تتحل بها من خلال جمالها الكامل. لو ذهبت في
المرور في لندن وعملت هناك كعارضة أزياء لنجحت بصورة أكيدة».
العمة سوزان

بعد ثلاثة الجميلة هي عنوان الكسل. إنها مهنة قاسية أن تكون عارضة
أزياء عند كبار مصممي الأزياء. ويتناسب هيلين أن تعمل هنا عند موديك،
المرور دائماً لأجل الفساتين لزيائتها الأثرياء. و هيلين تعرف أنها أفضل
منها في لادون، أما في لندن فأنتما ستجدين منافسة قوية».

لما غوله عمتها صحيح، إذ أن هيلين أوضحت لداليا مرة أن في
مكتبتها الحصول على ما تريده من دون أن تقوم بجهد في لندن.

«صباحاً، يا حبيبتي. أرجوك أن تأخذي عني. من فضلك»
كل غاري على الهاتف ولما سمع صوت داليا قال فرحاً:

«لقد نهضت من السرير كنت قلقاً عليك. أردت المجيء لزيارتك. لكن عمتك
خبرت أن أصاب بالمرض نفسه وآلاً أكون قادراً على العزف مساء غد. هل

تسعين بنحسين؟ هل أنت قادرة على حضور الحفل غداً؟»

أكدت له داليا قائلة:

«إنني أشعر بتحسن ملموس ولا شيء يمنعني من حضور سهرة الموسيقى غاري».

«عظيم، أعرف أنني لن أعرف جيداً إذا لم تكوني هنا لتعشدي من عزفي، هل كان مرضك مزمناً حقاً، يا حبيبتي؟»

«نعم، وأنت؟ هل عملت كثيراً؟»

«نعم، إن مستقبلي كموسيقية يتوقف على كلمة الرأي لعام، أو بالأحرى مستقبلنا، أنت وأنا».

شعرت داليا بالكآبة، لكنها سرعان ما أخست بارتياح عندما راح يتحدث عن الندوة الصحفية الذي سيقوم بها بيتر في فندق سافوي في لندن. «إن بيتر يكره هذه الأمور لكن في الوقت الحاضر لا يمكنه الهرب من ذلك وخاصة وأنه على أبواب الزواج في الحقيقة، إنه ينجح دائماً في التلفزيون ولا شك أن شغفك ستضاعف هذا النجاح وستبدو رائعة».

غضبت داليا على شفتيها، إذ أنها تعرف أن غاري يعتبر هيلين أكلة الناس.

سألته بسرعة:

«هل أنت خائف ومتردد من سهرة الغدا؟»

«قليلاً، لكنني مرتاح الآن لأنك ستكونين حاضرة».

«أعذك بذلك».

عائلة سميث لا تحب مشاهدة التلفزيون كما هي العادة عند الأتكيلين والعمة سوزان تفضل الانصراف إلى الحياطة أو الحياكة والعم هاري

مفضل القراءة و داليا تتمهزب من كل هذه المنوعات الثقافية.

لكن في هذا المساء، كان الثلاثة جالسين أمام الشاشة الصغيرة ليشاهدوا بيتر و هيلين بدأت الأخبار بمشهد سرقة لمصرف معروف، ثم السياسة الأجنبية واضراب مصانع السيارات.

ثم قال المذيع في ابتسام:

«والآن، لنكلم عن أشياء مفرحة، عن الندوة الصحفية لأحد كبار أقطاب الصناعة الشباب و ستدريللا الرائعة التي سيتم زواجها غداً السبت... وها نحن في فندق سافوي».

تلفتت داليا حول ركنيتها، المعلق التلفزيوني اختفى وظهر على الشاشة بيتر المشرق القامة، الائق من نفسه، في بذلته القامقة. كان يدخل سكارو بلا مبالاة ويرد على أسئلة الصحفيين في ما يتعلق بالعزى وشهر العسل، و هيلين جالسة في مقعد، هادئة وجميلة، في لباس أنيق وتسريحة رائعة.

ولما سألها الصحفيون إذا كانت هي التي اختارت جزر الأنتيل لخطبة شهر العسل، اجبت وهي تنظر إلى خطيبها في فرح وقالت:

«هو تركت ليبيتر مهام تنظيم رحلة شهر العسل، لكننا أمضيته في قاعة المحاضرات حيث يتعقد المجلس الإداري».

وانتهى الفيلم مع بعض التهقعات. ثم ظهر المعلق من جديد وقال:

«إنها زوجانية بقدر ما هي جميلة».

كان العم هاري يضحك هو أيضاً ثم وقف وأقبل التلفزيون وقالت العمة سوزان:

«هيلين فتاة زقعة! كيف تقول أشياء كهذه أمام ألوف المشاهدين؟»

أجابها زوجها وهو يشد أذني داليا.

«بيتر استحسن هذا المزاج. وأنه ما رأيك باختك الجميلة والروحانية، يا هيلين».

ابتسمت داليا وقالت:

«مسرح هيلين بأن تفعل ما تريد: إنها رائعة حقاً، ألا توافقان؟ إنها واثقة من نفسها، وتتمتع بساكن رانعين وبابتسامة ساحرة».

«م. م. نعم، إنها رائعة، وغداً في المكتب، سينخر مني كل المؤلفين».

وبعد نصف ساعة وصل النجمان وحبلى معها الانشراح والبهجة، كانت هيلين تأمل في أن تأتي في الوقت المحدد لتشهد نفسها على الناشئة الصغيرة، لكن داليا أكدت لها أنها كانت رائعة.

«كان للملابسك الأنيقة صدق كبيراً والمعلق كان متأثراً جداً».

سألت بيتر ضاحكاً:

«وأنا لا أستحق المديح».

قالت داليا في انفعال:

«كنت رائعة كذلك».

نظر إليها بيتر وقال:

«يكفي أن يراك الإنسان ليخشى أن يقسمك إلى جزئين، كيف تشعرين الآن، أيتها الفتاة الصغيرة؟»

«عادة تقريباً. شكراً على باقة الورد الرائعة».

«وحقبة الغدا؟ هل تعتقدين أن في إمكانك حضورها؟»

«الطبيب يقول نعم، تحدثت مع غازي على الهاتف، ووعدته بالحضور».

«لا شك أنه جن من الفرح».

ابتسمت ووصلت بمنتهى تحمل صينية الشاي، فتوقف الحديث عن هذا

الموضوع. فرح بيتر باحساس الشاي وتذوق الخلوي اللذيذة. وهيلين صعدت إلى غرفتها لتبدل ملابسها.

وداليا الجلاسة في استرخاء على مقعد مريح واضعة ذراعيها حول ركبتيها، راحت تصغي إلى صوت بيتر الذي كان يتداول مع غمها هاري حديثاً حول مواضيع المهنة، ولفترة قصيرة، كانت قادرة على أن تتم بوجوده وأن تتعذب في السر، وقالت لنفسها أنه من الخطأ أن تشعر بهذه الأحاسيس تجاه بيتر الذي سيصبح قريباً جداً زوج أختها، لكن كيف تمنع قلبها من الخفقان بسرعة كلما شاهدت بيتر كيف في إمكانها أن تشاوم رغباتها عندما تسمع صوته؟

ولما عادت هيلين مرتدية سروالاً أصفر وقميصاً أسود، نهض بيتر وقال:

«لدي أعمال كثيرة يجب إنهاؤها قبل يوم السبت».

هستت هيلين وهي تقرب منه:

«يا أرنبي المسكين، يجب أن أجعلك تنسى جميع هذه الأمور عندما تصبح لي وحدي في هذه الجزر المشمسية».

صوت هيلين الحميم والمداعب كان يعذب داليا، لا يمكنها أن تتحمل سماع أختها تتحدث عن شهر العسل، الذي ستقاسمه مع بيتر.

قال بيتر وهو يلتفت إلى داليا وعلى وجهه إشارات البهجة:

«تصبحين على خير، يا غفريته».

وبجهد كبير توصلت إلى الابتسام بهدوء وأخيراً فرغت الغرفة من وجوده.

الصاعق ووضعت العنة سوزان الوسائد مكانها على الأريكة.

عادت هيلين من المدخل وكانت تبدو أنها فقدت جزءاً من فرحها وغطيتها وظلت من داليا أن توافيها إلى المطبخ ليتحدثا قليلاً.

«إنني سعيدة لتحسن حالك، يا دجاجتي، وعلى أن ألتصق لك ألي في حاجة إلى

«غسلتك يوم السبت».

رفعت داليا عينيهما عن فتجان الشابي الذي شرعت في احتضانه وقالت:
«هذا لطف منك أن تقول هذا الكلام يا هيلين».

«لم يسبق أن افترقنا وسيبدو الأمر غريباً ألا تكوني معي في مثل هذه المناسبة.
أنت فتاة كنزومة ومحفوظة لكنني لست أفي إليك عندما لا تكونين معي».

رفعت داليا فخذلهما، ثم أعادت وضعه على الطاولة لأن يدهما بدأتا ترتجفان
فجأة فقد تردد طوبى صراراً إلى منزل آل سميت خلال الأسبوع وبدأت
هيلين تتخاف قليلاً يوم السبت يقترب، وقريباً ستقوم بالخطوة النهائية، التي
لا رجوع عنها، وبدأت هيلين وكأنها عرفت ما يدور في ذهن داليا، فقالت:
«أنت فتاة غريبة. في رأيك أنا لا أتزوج، بل أبيع نفسي بشكل قانوني».
اعترفت داليا قائلة:

«أظن أن أفكاري بالية، لكن بالنسبة إلى الحب قول كل شيء آخر».

ابتعدت هيلين صحنها وراحت تتلاعب بخاتم الخطوبة الضخم وتقول:
«أحياناً أتنى لو كنت أفكر مثلك، لكني أنسانة واقعية، لا عاطفية مثلك. لا
يمكنني أن أكون سعيدة إذا لم أكن محاطة بالأشياء الفاخرة التي يمكن لرجل مثل
بيتر أن يقدمها إلي. لقد أصبحت هرة مدللة. وأنا في حاجة إلى الوسائل الطرية
والكرما الشهية».

وفي كابة نهضت وتوجهت نحو نافذة المطبخ وراحت تتأمل الليل المطر. فجأة
تفلسفت وقالت:

«إن طوبى مع العم هاري في المشغل! لم أكن على علم بوجوده. وأنت؟»
هست داليا التي لاحظت في صوتها رنة لرغبة دفينه:
«جاء يجلب لي مرهماً لشلتي المشقوقتين».

قالت هيلين: ربيها مشدودة على الستائر.
لم أحدثه منذ دهور. يبدو نعيلاً وهو يرتدى هذه السترة القبيحة
وان ضمت ثم قالت: هيلين:
«سأذهب لأخيه»

«لا، يا هيلين، دعيه وشأنه! لا... لا تفتحي جراحه من جديد.
استدارت هيلين بسرعة. كانت شاحبة وهي تقول:
«ألا تبالغين يا داليا»

«تعرفين أنك أذيتك كثيراً. إذا رأيتك
وفي هذه اللحظة انفتح باب المطبخ ودخل طوني من الحديقة، شعره مشعث
وملئ من الغطر، توقف مكانه عندما رأى هيلين. وانتهت داليا في الحال لرد
عقله ولرغبته في أن يمد لها ذراعيه. قال وهو يضع يده في جيبه ليسحب من داخله
مرهما ويحده إلى داليا:
«هذا هو المرهم الذي وعدتك به، يا داليا»
«شكراً طوني»

وبما كانت تتناول المرهم من يده رأت نظرات أختها الصبي تتسم إلىهما
بضرورة الذهاب وتركها معه، لكن داليا تجاهلت الأمر وأضاعت:
«هل تريد فتجان شاي، يا طوني؟ لقد حضرته لتوي»
كان جامداً مكانه. كأنه لم يسمعها. وعيناه مسجورتان بهريق الزمرد والماس
على يد هيلين الموضوعة على حنجرتها. وان صبت طويل قطعت هيلين
قائفاً.

«إذا قال أقمست سيرد الشاي، هل فقدت لسانك، يا طوني؟»
تأملها مقلولاً، وجهها الجميل الساحر ثم بدا الألم في نظراته وقال:

«السامي... وقلبي تصبحين على خير، يا داليا».

انفلق الباب وراءه وظلّت الشقيقتان صامتتين، جامدتين، أخيراً قالت داليا:
«إلى متعة وبأذهب إلى فراشي».

«داليا...»

«لا، لا تقولي شيئاً يا هيلين، يكفي أن أراك تعذنين طرني، الذي ليس في قلبه
ذرة من الحقد».

«إنها... إنها طريقتك في النظر إلى خاتم الخطبة».

«هل تنتظرين منه أن يتصرف مثل الجميع، إنه يحبك والحب لا يترك مكاناً في
القلب ليفرح عندما يكون الإنسان الذي يحب يتزوج من شخص آخر».
«تسكلمين مثل يريد قراءة مشاكل القلب إذا كان طرني تمسأ، فهذا خطأ، هو
رفض أن يغادر لاوتون ولا أقبل من أي رجل أن يدعني سجيناً هذه القرية
المهجورة، لاوتون، لا، لا يمكنني أن أحصل النفاء هنا، يا داليا».

ذكرتها داليا قائلة:

«لقد لحقت ذلك بعد وفاة والدينا، عندما جئنا إلى لاوتون لتعيش فيها، إن
لاوتون قرية لا بأس بها».

«ومع الحب كل شيء يصبح جميلاً، وماذا يحدث عندما يزول الحب، إن الأسفار
القسرية لا تدوم...».

«كم أصبحت وقحة، يا هيلين».

قالت هيلين وهي تشعل سيجارة بصورة آلية:

«إنني أنظر إلى الحقيقة وجهاً لوجه، مثل بيتر، هو وأنا نعرف أن الحب وجه
عاطفي للرغبة...»
«هذا غير صحيح!».

«الأوقات التي قضيتها بين ذراعي غاري لم تملك ماذا يريد الرجل حقاً
من المرأة».

«إن الرغبة نصف الحب، الصداقة والحنان، والوقت الطرق للتفاهم المشترك، القدرة
على تحمل العذابات وتقاسمها، هذا هو الجزء الثاني، وعندما يندمج النصفان...
هذا هو الزواج».

«وأنت لك و لغاري، يبدو أن بيتك وبينه مشروع خطبة، سيجن بيتر قرحاً، إن
عواطفك تجاه العازف الموهوب وتجاهك هي أبوية كليا».

قالت داليا وهي تضم بين يديها المرهم في شدة:

«سأذهب إلى النوم، أنا متعبة، تصبحين على خير، يا هيلين».

«داليا، حاولي أن تفهمي...».

«هي أفهم جيداً، تريدن الماس والزوليس زوليس وليس الحب».

RED ROUS

العزف.

وخلال القسم الأول من البرنامج، ظل الجمهور غير متحمس، والجو البارد يثقل بالفشل. إن غاري كونواي ليس سوى رجل يقيم وولي أمره هو من أكبر الأقطاب المعروفين وملياردير كبير. وهذه المشكلة إضافية أمام غاري ليظهر موهبته الموسيقية الرفيعة.

وقبل أن يبدأ غاري بعزف مقطوعة روينشتاين الضخمة والرائعة، انحنى بيتر نحو داليا وهمس قائلاً: «استرخي يا ابنتي الصغيرة. غاري يحافظ على هدوئه كله وهو يعرف تماماً أنه في نهاية السهرة، سيتهاوت عليه كل هؤلاء الأشخاص البازدين ويطلبون منه إعادة عزف بعض المقطوعات».

والثقة التي يتحلل بها بيتر تجاه غاري ثم تأكيدها بصورة أكيدة... إذ أنه بعد انتهاء عزف مقطوعة حورية الغاب وأن صمت عام وتلتها غاضبة من التصفيق والمتعاطفات، وظل الجمهور يصفق مطالباً بأعادة العزف مرة أخرى وذلك لمدة ربع ساعة، كما تنبأ بذلك بيتر قبل قليل.

وفي نهاية الحفل الموسيقي، أحيط غاري بمجموعة متحمسة من الناس الذين راحوا يهتفون على تجاحه الياسر أحد مديري شركة الاسطوانات دعاه غاري إلى تناول الغذاء معه في اليوم التالي ليتناقشا في إمكان توقيع عقود عمل مهمة. إذ أنه أعجب كثيراً بمقطوعة حورية الغاب ويهتم بتسجيلها على اسطوانات.

وبعد نصف ساعة من التهليل تمكّن غاري وفرقتهم من التخليص من الجمهور المتحمس ولقاء بيتر والمجموعة خارج الصالة. صعد الجميع في السيارات المخصصة لهم وأعلن بيتر أن سكرتيره خيمز للجميع طاولة كبيرة

٧ - الحريق في القلب!

وفي مساء اليوم التالي، توجه الجميع إلى برايتون في سيارة بيتر الليموزين، التي كان دوتوفان يقودها مرتدياً بذلة السائق.

كانوا يأملون في الوصول إلى الحفلة الموسيقية قبل أن يبدأ العزف لينتسبوا للحدث قليلاً مع غاري. ولكن بسبب حركة السير المزدحمة لم يصلوا إلى الصالة إلا قبل عشر دقائق. وهو الوقت الكافي لشراء البرنامج والجلوس في الأبنكة المخصصة لهم.

قالت هيلين: بعدما ألقت نظرة على الصالة وهي تبقي النظرات الموجهة إليها وإلى رفاقها:

«الحضور كثيرون. هذا ذكاء منك يا بيتر. أن تنظم حفلة غاري في تاريخ قريب لموعد زواجنا. أنت رجل إعلاني كبير يا حبيبي».

«كم تلبثت طويلاً لأصبح هكذا... آه، ها حواء»

دخل غاري إلى المسرح، نحيفاً ورائعاً، وفي لباس أنيق. رقع نظره إلى مكان بيتر والآخرين. ابتسم له داليا وقالت في صوت خفيض: حظ سعيد. هز رأسه من دون أن يلاحظ أحد ذلك، ثم اقترب من البيانو الكبير، الذي تلمع لمساته تحت الاضواء القوية. بعض الذين وصلوا متأخرين أخذوا امكنتهم وسط الأثرجة. بعض الرجال سعلوا وأخيراً ران الصمت في الصالة وبدأ غاري

عند دومينيكو أحد أكثر المطاعم أناقة في برايتون. لكنه أراد معرفة ما إذا كان بإمكان داليا البقاء للعشاء للاحتفال بانتصار العازف الشاب.

قالت بعدما شعرت بذراع غاري يلف خصرها:
«إن تكشف السهرة إلا إذا احتفانا بنجاح غاري».
تدخلت العمة سوزان قلقة وقالت:

«تهلك طوتني إلى عدم إلهاق نفسك، يا داليا».

خفيف ثوب حريري سُبِع عندما وضعت هيلين على كتفها معطف القز وراجت تقول:

«لا تفلتي كثيراً، يا عمتي، عشاء بسيط لن يؤذي طفلتنا الغالية».

فوجئت داليا بتعطيل وجه شقيقها المحبر انفعالاً. نعم، هذه هي هيلين؛ تتلقى خبرتها على قلبها كلما ذكر اسم طوتني أمامها.

عندما أطل بيتر والمجموعة على باب المطعم الرئيسي، أسرع مدير الفندق مضاعفاً اتصالاته تيجيلاً، ثم قادهم إلى طاولة كبيرة، تقع في مكان قريب حلبة الرقص، وسحب بطاقة المنجز عن الشرفك الراح وقبض أصابعه فأسرع الخدم حاملين لائحة الطعام والشراب.

رأت داليا أن الناس وراء الطاولات المجاورة تعرفوا إلى بيتر وخطيبته. إذ كان في عيون الرجال دهشة وأعجاب، خاصة عندما ساعد هيلين على خلع معطف القز وبدأ عطفها الطويل وقصة فستانها الذي كان بلون الشعلة. والعمة سوزان كانت تأمل صالة المطعم في نظرات متدهشة. لأن هذا المكان ليس في مستواها ولم تكن تتصور أن يحسب لها ذات يوم المجيء إلى هنا وتناول أفخر المأكول والدها.

الاضياء العامة رائعة، والشموع تتأرجح على كل طاولة، القز والثيرون

وشبيلة كانت موضوعة على مساند الكراسي. وفي حلبة الرقص بدت النساء مثل الفراشات الملونة تظهر على بذلات الأزواج السموكينج. الجو رائع للغاية، العشاء كان لذيذاً ولا مجال للمناقشة في هذا المجال، والتهوية أعدت أمام الجميع، الكل أمام طاولته. وعفت راحة الشرفة والقرنفل من الفناجين الصغيرة. وراح الجميع يستمتعون بالشراب اللذيذ ويستمعون إلى أغنية تعزف لها الأوركسترا أغنية عاطفية.

سحب بيتر من جيبه علبة السيجار وقدم للرجال الذين رفضوها. ونظرت داليا في اعتناء إلى بيتر وهو يشعل سيجاره ويخرج الدخان من فمه في لذة كبيرة، فقالت له: هيلين في حلق:

«بيتر أريد أن أرقص».

قال في ابتسامة هادئة:

«غاري سيأخذك للرقص بعد لحظة، لا أعتقد أن داليا ترغب في الرقص بعد هذه الرعدة الضخمة التي تعرضت لها الأسبوع الماضي».

قال غاري لداليا:

«هل اتعبتك الموسيقى التي عزفتها؟»

«أبداً، لقد عشقتها. لكن قدمي ما زالتا مترنحتين وأفضل الجلوس والنظر إليك وأنت تراقص هيلين».

قالت هيلين وهي تقلب:

«هيا، تعال يا بيتروفن! إنني متوترة جداً وعاجزة عن البقاء هادئة ورجل الأعمال هذا يجب أن يدخل سيجاراً بعد العشاء وهذا يكفي للتخلص مني».

اقتربا من حلبة الرقص وابتسمت داليا وهي ترى غاري يضم في خجل شقيقته الميالة.

قالت العمة سوزان لبيتر:

«لا شك في أنك سعيد جداً من أجل عثاري. لقد عزلت عذراً رائعاً، أليس كذلك؟
وعشتك الجميع مقطوعة. حورية الغاب. شعرت بذلك قبل أن يبدأ الجمهور
بالصفيق».

أجابها بيتر موافقاً:

«إنها مقطوعة لطيفة ورائعة. إنها حورية الغاب الواقعة في الغرام وفي الوقت
نفسه، فرحة وغامضة».

الدخان يتصاعد من سيكلره بكثافة بينما كان يحكم. كانت أصابع داليا
مقلصة حول كأس شرابها في قوة.

عزفت الأوركسترا رقصة الفالس، فمسحب العم هاري كرسيه ومضى به إلى
زوجته وقال:

«إنه لحنا المفضل يا سوزان. تعالي يا حبيبي، دعيني أدخلك في رقصة
عاطفية».

وبقيت داليا وحدها مع بيتر الذي قال وهو يغير مكانه ليجلس قريباً:
«إنه لحن جميل. عاطفي لكنه مرح ولا يكسر الرأس كما تفعل الموسيقى الحديثة
إنه لحن قديم جداً».

لم تجرد داليا على أن تضيق أن هذه الأغنية تدعى النشوة. لأنها إذا
تلفظت بهذه الكلمة، فذلك يعني أنها تغير عما يحول في قلبها... السر المذنب،
المعذب هو ما تشعره لوجوده قريباً، متشبية بدخان سيكلره وبظفرة عينية
الخضراوين عندما يلتفت إليها.

أمراً فائلاً:

«احضري شرابك. سأأخذ وجهك الشاحب لونا جميلاً».

وبدا الشراب يسيل في عروقها مثل الذهب الحارق ونظر بيتر إليها بشدة
حتى جرعت آخر نقطة من شرابها وسألت:

«أتريدن كأساً أخرى؟»

قالت في استغراب وهي تضحك، وتمسك بثرابه لتخلفها:

«أه، لا، يا بيتر. كلما شربت أبدأ بالضحك بصورة غبية. ولا أعتقد أنك تحب
ذلك في الفتيات».

راح يناكدها قساحكاً ويقول:

«لست سوى طفلة، يا داليا. وبستانك الأبيض وجنيك الثقليين، تدين مثل
فتاة صغيرة تنتظر من عمها أن يفودها إلى دور الحضانة».

اغتالقت داليا فقالت:

«طفلة: إنني أراهن بأنني في سن هذه المرأة الشقراء ذات القستان الأسود الجالسة
في المقعد قريباً».

أدار وجهه في اتجاه الفتاة الشقراء، كان يرافقها رجل يكبرها سناً، لكنه ثري
كثير وانتصبت أمام نظرات بيتر. وراحت تتأمل يدورها عرض كتفيه
واشمت له كأنها تقول: م.م.م. يعجني شكلك وعرض كتفك.

تقلب بيتر حاجبيه وعندما التفت إلى داليا لاحظت برود عينيه
اللامعتين. فشعرت بصدمة كبيرة. أحست بأن بيتر يقارن نفسه برفيق هذه
الفتاة الشقراء، كأنه بدأ يرى أن هيلين ترغب به ليس من أجله، بل من أجل
الذهب والتزلف والمال.

قال في صوت خفيض:

«داليا، أعرف لماذا تدين تعيسة».

«صحيح؟»

نظرت إليه ورأت في عيشه لطفاً ظاهراً، فأنتسك يدها وقال:

«أنت شابة جداً... وتودين معرفة كيف أستطيع الزواج من امرأة لا تحبني من أجل شخصي... أو، لماذا تتفضين، يا ابنتي الصغيرة؟ هل تعتقدين أنني لا أعرف ذلك. داليا، إن شقيقتك ضريحة معي إلى آخر الحدود، لم تهنس في أدنى كلمات الحب الكاذبة... وهذا يعني أنها ليست مثل هذه الشقراء ذات الفستان الأسود، التي لا تفكر إلا برغبة الحصول على ما تريد من الرجل قبل أن تختار رجلاً آخر. إن مثل هؤلاء النساء ينجحن في مهنة الأتساء والشك، إنما هيلين تريد أن تنجح في أن تكون زوجة رجل أعمال كبير وملياردير».

ابتسم بيتر وشد يده المزمزة على يد داليا وقال:

«ربما ليس هناك أي شيء عاطفي في علاقتنا، لكن الزمن جعلني قاسياً وبالتالي لست نادماً على شيء. هيلين فتاة رائعة، مريحة، فحب ارتداء القرو وثالثي أمام الأشخاص المهمين الذين أعاشروهم واستقبلهم في منزلي».

تفكست أصابعه وضغط في ألم على أصابع داليا وأضاف:

«هيلين وأنا انسانان واقعيان وطموحان، الأحلام والشعور والحب هي للذين يملكون قلباً شامياً وتنهراً، مثل غاري. ومثلك».

القلوب الشابة والنضرة

داليا تضرر. إنها تشعر أنها لن تظل شابة، بعد الزواج. لا شك أنه اكتشف في عينيها بعض الشكوك التي تقضم قلبها. إذ قال في حزن وفي لهجة أيرلندية واضحة:

«هذا لطف منك أن تقلقي على إنسان وعمر مثلي».

«أنت لست وعراً».

ابتسم بسخرية وقال:

«حياة مدرسة والفنرة على استيعاب الثقافة تحدث العجائب. لكن مرأتي تقول في أنني كنت في مدرسة المحنة حيث تعلمت أشياء كثيرة... وخاصة كيفية الوصول إلى النجاح وكيفية عدم الافساح أمام الآخرين في مجال إبدائي».

أخيراً أفلت بيتر يد داليا. وراح ينظر إلى الرافضين، ثم انحنى نحوها صمتاً، وقال:

«هل تحبين الأسرار».

«طبعاً يا بيتر. إنني امرأة ولو أضرت على أن تدعوني بطفلة».

«إفني، علمت من مصادر أكيدة... أن أصدقائك العجائز الذين يقطنون المنازل القنينة لن يغافروها بعد الآن».

نظرت إليه في اندعاش وقالت:

«بيتر هذا مستحيل».

«صدق الفرنسيون عندما قالوا: مستحيل كلمة غير موجودة».

كانت عيناها الخضراوان تلعبان كما يلعب الزجاج في الشمس. ووغيت في الفخر فراجاً فقالت:

«أرى في عينيك أنك فعلت شيئاً ما في هذا الشأن».

«حسن وهو يأخذ نفساً من سيكارة».

«عندك عينان خطيرتان».

«لا تناكديني! ماذا فعلت حتى غيرت المجلس البلدي رأياً».

«اشتريت الأرض المعروضة للبيع، ثم بعته من جديد إلى البلدية. خسرت المال، شرط أن تقبل البلدية أن تبيعني مكان المنازل القديمة حيث يعيش أصدقائك العجزة. وهكذا يمكن للسكان أن يظلوا في منازلهم حتى نهاية حياتهم، وبعد ذلك انني معيلاً هناك. الناس تهجر لندن ويجب إيجاد عمل في الضواحي. وهذه

الصفحة تبدو رابعة على المدى البعيد.

«أه، يا بيتر»

«كان قلبها يفيض حياً لأنها تعرف أنه فعل ذلك من أجل أرضائها»

«كنت قلقة على هؤلاء العجزة، وأنت فعلت ما في وسعك لتفادي الكارثة، وإني

أشكرك على ذلك، إلى جانب ما تبخيره بأنك رجل قاس، أنت انسان كريم جداً»

«قلت لك اني سأتوصل يوماً إلى بناء معمل هناك»

«كان يتكلم بخفة، إنه رجل قاس وجذر وثيبه، وعلى رأس امبراطورية تجارية

واسعة، ومع ذلك فإنه رجل يتمتع ببريق عاطفي رائع»

«أعلنت في انتاج»

«لم تلج المنازل القديمة من أجل أسباب اقتصادية أو تجارية»

«لثقل أنني انسان وعمر مثل الماس الطبيعي المصقول من جهة واحدة، لكن

صدقي يا داليا، عشت سنوات عديدة لم أكن أبحث فيها إلا عن المال»

«إني قادرة على فهم ذلك»

قال وهو ينظر بأصابعه على بذلته السموكينخ الرائعة:

«أنا الشيطان الايرلندي الأثيق الذي أزرار قميصه من العقيق اللامع، السوداء

مثل شعوره، والذي يغلي طموحاً لقد حصلت على كل ما أريد ولا أتضرر إن أنا

رمت اللثام إلى الآخرين إذا كان ذلك يساعدهم»

«بيتر لا تكن وقحاً»

«إني وقح، يا داليا، وأرجو تصديق ذلك، في إمكاني أن أفعل أشياء كثيرة

وأجازف بأمور تؤدي بهذا الشيطان الايرلندي إلى أن ينتخب في المال»

«حفيف الخريف وراء داليا اندمج مع ضحكة اختها اللؤلؤية التي قالت:

«التجاح والشراب أثرا على قدميك يا غاري، لم أعيد قيادة على المزيد من

الرقص»

التفت داليا نحو غاري ورأته محقوناً وشعره مشعث... لكن قلبها كان

ينفخ للولد المتعطش، الذي ذهب وحده إلى أرض بعيدة عندما كانت ما تزال

طفلة، هذا الصبي، وهي متأكدة من ذلك، ما يزال موجوداً في استمرار وراء درع

الرجل الجالس قربها

قال بيتر وهو ينفض واقفاً:

«أأخذ هذا الصبي المتعب إلى فراشه»

كانت السماء تلعب بالنجوم عندما جلست داليا في سيارة بيتر، كان

غاري غائداً في سيارته الصغيرة وقد حياها من نافذة السيارة قائلاً:

«سأراك مساء الغد، في جلسة التمارين الخاصة بحفل الزواج»

تناول يداه ليضعها على نعه، لكنها أفلتتها بحركة انفعالية فقال غاري:

«فتاة هاربة، ماذا أفعل بك؟»

«لا تقل بسرعة يا غاري، أعرف أنك تحب القيادة بسرعة عندما تكون وحدك»

«مستحزين إذا أصابني مكروه»

لكنه لم ينظر الرد، صرخ مساء الخير للآخرين وركض إلى سيارته لينقلع بها

لا عصار

ولما توقفت سيارة بيتر أمام منزل آل سميث، كانت داليا تضيف تائمه،

لكنها تسجعت قليلاً عندما جعلتها الذراعان القريتان، فتركتها بحملها وأرخت

رأسها على كتفه إلى أن وضعها على أريكة قاعة الاستقبال فهست:

«سكراً، يا عبي»

وفي الغد قامت داليا بزيارة لأصدقائها العجزة في المنازل الضيقة التي

جاءت من الردم، وفي صباح اليوم نفسه أعلمهم المجلس البلدي أن المشروع ألغى

فاستقبلوا الخبر بفرح وغبطة وأدركوا أن داليا هي المسؤولة عن هذه المعجزة.
كان الطقس رائعاً وشريت داليا الليموناضة في حديقة روزي الصغيرة.
الخصافير على أنواعها تخلق في السماء المشمسة.

قالت روزي:

«لماذا قام هذا الأيرلندي الكبير بهذا كله من أجل حفلة عجيذة هم على شفير
النهاية؟»

أجابت داليا مبسمة:

«لأنه يحب الناس.»

«هذا لطف منه، لكن معظم الرجال يتدبون كالزبد بين يدي فتاة جميلة، لا
يقولون لك لم تفعل شيئاً لكن يشعرون هذه المنازل من المجلس البلدي؟»

«كل ما فعلته أنني حدثته عن الموضوع، ولم يكن يريد أن يقول لي أنه الملاك
الجديد إلا بعد أن أصررت على ذلك، إنه لا يفاخر أبداً بالعمل الجيد الذي يقوم
به.»

«يقال أن الكبار هم أقل أنانية من الصغار، وهذا الرجل كبير النفس، والآن ألا
تريدون تذوق قطعة من الحلوى؟ أنت نحيلة مثل القصب! أنظري إلى ذراعيك
وساقيك!»

«لم يسبق أن كنت سمينة يا روزي، إنني أشبه عمي الذي هو نحيل
وجصبي.»

«أنت تتعذرين لأن هيلين تتزوج وسميش في بحبوحة وورخاء وترى كل حياتها.
إن قلبها من حجارة.»

«روزي...»

«لا تدافعي عنها! وأعتقد أن هذا الرجل الأيرلندي يتصور أنها المرأة المناسبة،

أبنة وباردة، ووثقة؟»

سمع إن هيلين هي امرأته المناسبة، ومن زمان اتخذت قراراً بأن تصبح غنية.
«مما أنت، تخمين من أجل الحب، أليس ما أقوله صحيحاً؟ هذه هي الحياة، لكن
أنت فتاة شابة، يا جيلتي، بعد مضي أشهر لن تشعري بالعذاب نفسه.»

تخاضت داليا نظرات روزي وراحت تتحدث عن الحفل الموسيقي الذي
حرف فيه غاري وعن المطعم الضخم حيث تناول الجميع العشاء مباشرة بعد
السهرة. كانت روزي تصغي إليها وعلى رأسها قبعة قديمة من الفس، ثم من
هذه الطليخ المفتوحة سمعت الساعة تدق خمس دقائق، فانتفضت داليا واقفة
وقالت:

«علي أن أذهب في الحال، التازين لحفلة العرس ستجري مساء اليوم.»

انحنت لتقبل أطر المسترخي على العشب وقالت له:

«فرح يا هري الجميل، سنظل هنا كما تنسى.»

قالت روزي:

«أوه، إنه يعرف ذلك تماماً.»

راقت روزي داليا إلى باب الحديقة وأسكت يديها التحياتين ونظرت
إلى وجهها الصغير الشاحب وقالت:

«سمعي، يا جيلتي، ما تشعرين به فجأة بيترشريدان، هو الاقتتان والسحر
الذي طبع في سلك، الذي لم يبلغ بعد اخترت أن تعشقه بدلاً من أن تعشقي
محباً مشهوراً أو ممثلاً موهوباً.»

قالت داليا:

«سمع سأراك في العرس، لا تنسي، سيتم في الثانية تماماً.»

عادت داليا إلى الساحة لتستقل الباص، وفي طريقها عرجت على مكتبة

كبيرة. بعد أن لفت انتباهها كتاب موجود في الواجهة. إنه كتاب تاريخي يعجب عنها هاري. فقررت أن تدخل بسرعة لشرائه قبل أن يقفل المحل أبوابه. صعدت داليا إلى الطابق الرابع واضطرت إلى أن تقوم بذلك مشياً لأن المصعد معطل. وكان في داخل المحل عدد كبير من الناس، وخاصة في الجناح المخصص للكتب التاريخية. وبعد أن اشترت داليا الكتاب، راحت تتفحص القصص الروائية الجديدة. إحدى البائعات كانت تنظر إلى ساعتها باستمرار. كانت الحاسة والدقيقة العشرين وهي في عجلة لأن تتخلص من الزبائن المحتشدين حولها.

فجأة، ارتفع صراخ امرأة، أت من غرفة الطابقين.

«النار النار»

التفت داليا بسرعة إلى البائعة التي كانت جامدة مكانها، كأنها تقول لقد سمعت خطراً.

ثم سمعت الصراخ والخطوات المستعجلة وتداء:

«النار النار»

كان المصعد معطلاً، فأخرج الناس إلى السلالم وراحوا يتدفقون، في دحرج وشعرت داليا بأنها ستضيق بين أمواج الناس.

هبطت داليا السلالم التي لم تكن تراها، وهي تتعثر، وتترنح وتهاوى وتدفع وتسحب وتغلق ضربات على كواحلها، على أضلاعها، وبدأ عقلها يضيغ بفكرة واحدة الكابوس... البقاء واقفة... عدم السقوط وإلا داسوها.

لجأة شعرت امرأة واقفة أمام داليا. وفقدت توازنها. وراحت تصرخ في قوة فمذت لها داليا ذراعها لتلتقطها من معطفها كي تمنعها من السقوط.

أطل الطابق الأرضي، فأسرع الجمهور في الهبوط مثل موجة كبيرة تقتش على

السطح... وفي هذه اللحظات شعرت داليا بأنها بدأت تفقد توازنها. فسيطت على أمواج الأقدام مع المرأة التي أرادت مساعدتها... ثم اختفى الرعب والألم عندما داس حذاء على صدغها. وأغرقها في الظلام.

لم تشعر أن جسيها النحيل يقل خارج المبنى على حاملة سيارة الاسعاف. وفرت غطاه أحمر وابتعدت السبابة عن الجواهر المزخجة وسيارات الاطفاء ولحيت

أسرعت سيارة الاسعاف مطلقاً زماميرها إلى مستشفى لاوتون العام.

RED ROUS

ألقى القاب وراءه وهزت قشغريزة باردة جديدة هيلين حوادث كثيرة وعربية
حصل كل يوم. والأشخاص يستطيع تحملها إذا لم تكن حصلت لأشخاص
عامة. أشخاص مثل داليا، الطيبة والصادقة.

ويظنون هم الذين يحاولون مثل داليا، أن يكونوا طبيين وودعاء بقدر
التمكن. إنها إنسان طيبة، وغير مملّة، ناعمة من دون أن تكون متكلفة، سريعة
الطبع في بشرتها الناعمة وعظيها الدقيق. والآن، هيلين ترتعش أيضاً، ولحم
سفيها الفظي أصيب برضوض من الأرجل الماروبة، وعينها الجميلتان،
سكان ألا تفتح أبداً لتبصيرا للذين تحبهم.

بعضها عاد بيتر إلى قاعة الانتظار حاملاً صبية مليئة بفنجانين الشاي
الساخن. كان قد وصل قبله طوني غريغ. بعد أن أوكل مهام عيادته إلى طبيب
آخر من أصدقائه كان جالساً أمام الطاولة قرب هيلين. يترك لها بعضاً ويحدثها
بصوت منخفض. كانت قد استرخت قليلاً، لكن الأرتعاشات المؤلمة تهزها من
وقت إلى آخر. طوني فجأة سترته ووضعها على كتفي هيلين ونصحها
بعض وضعت رأسها على ذراعه.

طوني لا تحبسي دموعك. صحيح... ستعبرين بعد ذلك بتحسن.
هم بيتر فنجان شاي إلى طوني وألقت نظراتها كان وجه بيتر
ساجداً وعيناه ثابتتين وعلى فمه إشارات عصبية تنبئ بقوة ترك هيلين
سكنها في ذراع الطبيب الشاب. ثم ألقت إلى الصبية سوزان وقدم إليها
فنان شاي. فقالت:
شكراً يا بيتر.

كانت تلفظ الأسم للمرة الأولى ومن دون تردد. وأضافت:
حس حصلت بالقسيس؟ هل فهم... نعم، طبعاً، إنه يعرف داليا، إذ أنها تزور

٨ - سقطة الخلاص!

أشعة الشمس المغيبة تسال إلى غرفة الانتظار في الجناح التابع لمستشفى
لاوتون، ووميضها الأحمر يلون دخان السكارة التي تغلف رأس الرجل الأسمر
الواقف أمام النافذة. تغضن جبينه لدى سماعه نداء طير حاد. وفي الوقت نفسه
سمع في المر الأتاييب المخلعة على عربة تجرها إحدى الممرضات.
«إلى متى سنظل ننتظر؟»

نظرت سوزان سبت إلى زوجها وعينها هليتان بالحسرة والضييق، فتناول يدها
بعنان وقال:

«يجب أن نتحل بالصبر، يا حبيبتي. إن داليا بين يدي الدكتور وارد
وستبوري. وهو من أهم جراحي المنطقة.»

أزاح بيتر رأسه فجأة عن النافذة في الوقت الذي كانت الشمس تغيب فيه
وقال:

«أنا ذاهب إلى كافيتيريا المستشفى لأحتسي فنجان شاي. وتذكّرت أن عليّ
الاتصال هاتفياً بالكنيسة لأعلم الكاهن أنه لن يكون هنا قارئ زواج.»

توجه إلى الباب وشد على كتفي غاري في طريقه. وهيلين التي كانت
جالسة أمام الطاولة، رفعت عينيها الكئيبتين نحو بيتر، فقال لها:
«سأعود بعد ربع ساعة.»

الكنيسة معنا كل شهر أحد... لكن، يا هذه الليلة الحزينة، ليلة العرس، لك و
وليدين.

«طلبت من الكاهن أن يعلم الوصيفات... أن التجاريل التي»

التردد في الكلمات الأخيرة لفتت انتباه هاري سميث، قراح يتفحص بيسر في فصول ويلاحظ علامات الحزن في وجهه ونظراته المؤلمة. ألقى نظرة إلى جيلين وإلى طونى وفهم ما يجري.

قالت العمدة جوزان في حديث عليه بالحقيقة:

«لماذا يجب أن يضرب الحزن أولئك الذين لا يستحقونه؟ سيتحطم قلبنا إذا فقدنا
داليا... كانت ذاتها الأنسانة الطيبة... المتواضعة، الحادثة...»

فَمَنْ يَمُرْ فِي أَفْئَالِهِ

«أعرف، يا سيدي سميت، لقد أدركت أي نوع من النشأة كانت داليا، وذلك عندما رُفعتُها عن الثلج أمام عجلات سيارتي».

بعد نصف ساعة جازم الجراح وأعلن أن العملية الجراحية الجذرية كانت
رفع يده عندما أطلقت العنة سوزان صرخة فرح وقال

عما رأيت في حالة خطرة إنها تعاني من جرح في العمود الفقري، ولا يمكننا في الوقت الحاضر أن نفعل شيئاً في هذا الشأن. هناك إشارات، يا سيده، بحيث تدل على أن داليا سبقت وسقطت مما أدى إل إصابتها بجرح في ظهرها. هل في إمكانك تأكيد ذلك؟

انعم ان ما قلوه جميعا

أمسكت العمة سوران بيدي زوجها وتقلصت هيلين بين ذراعي
طوشي فتظر بيتر من الحافلة وبضض غاري واقفا فقالت العمة سوران:
«استطعت داليا من الشجرة في حديقة منزلها وهذا يعود إلى ستة أو سبعة

أدت تعصب مع كليب الدكتور غريغ الذي تسلى الشجرة ليُطارد هراً في
اللام فتسلقت داليا بدورها الشجرة لتساعد على النزول، فانكسر غصن
الشجرة وسقطت. شعرت بالآلم في ظهرها لكن في هذا الوقت لم تكن تتصور
أنها أصيبت بجراح جديده.

قَالَ الطَّيِّبُ وَهُوَ يَخُكْ ذَلِكَ:

غير علم. نعم. لا شك أن الجرح حصل في ذلك الوقت، أي منذ أكثر من سنة. حيث أصيب بجرح خفيف لحظة سقوطها، لكن الجرح قدّم شهراً بعد شهر على ما كان ليس من عادة واليا أن تقدّم. لكنني أعتقد أنه منذ ستة أشهر وهي عرض لآلام وجواري سقوط صغيرة بل عديدة لم تحرككم عنها، لأنها لم تزال صبيحتها، إذ أنها كانت تعتقد أنها تعثرت بشيء. لم تذكر أهمية انعدام التماسك بل بيّنها معتبرة ما يحدث لها أنه عائد إلى أخطاء سن المرافقة.

توقف وارد ومستورتي عن الكلام وراح ينظر إلى كل إنسان بدوره من
المدربين في حالة الانتظار، ثم أضاف:

...سنة وأكثر كانت هذه الفتاة معرضة إلى خطر البسوط في المناسبات السيئة...
وحصل ذلك اليوم عندما اندلع الحريق في المحل الذي كانت تزوره لشراء بعض
السيارة.

ولن نمت وراح كل واحد يتخيل دائما وهي تتخطى وحدها بين الناس
الضالين بالغفغ... ربما وعنت للمرة الأولى حالتها الصحية وضعف مناعيتها... وهي
تتمر بها تقووان...

نهشت هيلين فجأة واقتربت من الجراح وعيناها متوسلتان وجهها مغدب،
لنقة علي سواها للمرة الأولى في حياتها وقالت:
يا دكتور اختي تشفى أليس كذلك يجب أن تتيجو إذا حصل لها شيء ما.

فأنتي لن أتحملة مدى الحياة»

كان صوت الجراح معبراً بما فيه الكفاية، على داليا أن تتجاهد طويلاً لتتخلص من ذبول هذا الجرح في سلسلة ظهريها. أخيراً قال:

«ستعمل كل ما في وسعنا».

«أرجوك، دعني أراها».

«علي أن أتبعك أنتها».

توسلت هيلين في إصرار يثير الشفقة:

«لن أخرجها، أريد... أريد فقط أن أراها».

«جناً، يمكنك يا سيدي سميت أن تأتي معها».

رافقتها إلى غرفة خاصة حيث كانت داليا تنعمرها ملتحق بجيبتها من شدة الحرارة. عيناها مغشوشتان، ورموش عينيها الطويلة جامدة فوق خديها الشاحبتين. كدمة زرقاء ظاهرة على صدغها الأيسر.

نامت هيلين، برهة شقيقتها، ثم أجهشت في البكاء، في هذه اللحظة، كل لحظة حياتها بدأ يتغير، وبأخذ شكلاً جديداً.

خرجت من غرفة داليا مترنحة وفي الممر كان رجل في انتظارها. أخذها بين ذراعيه فسقطت منها والدموع تهطل من عينيها. كان يمس بأسرها من غير توقف ونور النمر يلعب في شعره الأشقر.

ناحت في صوت مهشم:

«ماذا سأفعل».

«ستأين معي، يا حبيبتي، يجب أن نتحدث».

توجه بها نحو السلام وساعدها على التبول وأخرجها إلى حديقة المستشفى ولم يلاحظ الشبح الطويل ولا نور السيكارة في ظل شجرة، على بعد خطوات قليلة

من النور حيث جلسا.

«يا طوني، وهو يسكنها يديها الأثنين».

«هل أعرف أن الوقت غير مناسب و... داليا تتخبط بين الحياة والموت، لكن لم يبق أمامنا الوقت الكافي لنضع النقاط على الحروف، هل في أمكانك القول لا تحبيني، هل في أمكانك الزواج من بيتر شيريدان، والانفصال عني طويلاً أيام حياتك، هل في أمكانك القيام بذلك، يا هيلين».

رفعت وجهها الشاحب نحوه، فلقها ضائعة، فأصر على القول:

«طوبى إنك لا تحبيني، وأنت لم يسبق أن أحببتني».

«يا إلهي، أنت تعرف جيداً أنني عاجزة عن ذلك، لكن الحب لا شأن له في الزواج».

«لست متزوجين، بيتر شيريدان من أجل ماله، وبروفة أعضائه».

تخلعت هيلين رأسها وقالت:

«لم يسبق أن طلب مني أن أحبه».

«هل يعرف أنك تحبيني، أنا الطبيب الريفي الصغير غير القادر على تقديم حياة طيبة التي تتصورين أنك عاجزة عن الاستغناء عنها».

«لا طيباً، لكن كل شيء شام تدبيره، يا طوني الزواج، رحلة شهر العسل... لا يمكنني أن أغبر رأيي الآن، لا سيقولني إذا فعلت ذلك».

«لن أقبل أحداً من أجلك، يا هيلين، أبداً».

شهر بيتر من الظل ونهضت هيلين وأطلقت صرخة، نظرا إلى بعضها البعض لفترة طويلة، ثم أضاف يقول في جدية:

«صحيح، أنني لم أطلب منك أن تحبيني، كنا نتوي تحقيق اتحاد، بمالك وشروتني، لكن كثيراً ما يلغى هذا الاتحاد ليلة الزواج».

«تريد أن تقول... أن كل شيء انتهى بيننا».

«أنت تريدني ذلك، وأنا أيضاً».

«أسف أن كنت سببت لك الأذى والألم، يا بيتر».

ألقت نظرة إلى طوني الذي كان يراقبها، ويداها في جيبى سرواله. ثم

التفتت إلى بيتر الذي كان ينظر إليها في حزن ومن دون غضب.

«أه، بيتر، أنت رجل كبير قادر على أن تقطف النجوم من السماء لتقدمها إلى

المرأة، لقد هوننا معاً، لكن هذا لا يكفي، أليس كذلك، أعتقد أنني بدأت أفهم

ذلك، عندما كنت قريب من داليا، عندما رأيتهما تكافح في سبيل الحياة التي لم

يسبق أن درستهما بالإنانية أبداً... قالت لي، منذ أسابيع، إنه ينبغي ألا أتزوجك إذا

كنت ما أزال أحب طوني، وأنا ما أزال أحبه! أحبته قبل أن أنتيك يا بيتر.

وهو الرجل الذي سأتزوج به.

«جسداً، ليكن ما تريدني».

ثم التفتت إلى طوني وقال:

«أتزوجها، قد لا يتسنى لك الفرصة ثانية».

خلعت هيلين خاتم الخطبة وقدمته إلى بيتر، والدمع بضالط بقوة من

عينها.

«دمع معك يا هيلين، احتفظي بكل ما قدمته إليك، ستمضي سنوات طويلة

قبل أن يتمكن زوجك الطيب الشاب من شراء معطف فرو لك، ويخيل لي أنك

ستجدين صعوبة في الاستغناء عن هذا النوع من الأشياء».

قال هذا ثم أطلق سائجه للريح وابتهد، مثل عملاق فقد قواه.

الأيام التالية كانت كثيفة لعائلة داليا وأصدقائها، علقت الصحف على

فسح خطبة هيلين، لكن في الأوساط المحلية أنصب الاهتمام بكامله على حالة

داليا، لديها عدد كبير من الأصدقاء، تعرفت إليهم بينما كانت تعمل في مركز

العيان الاجتماعي.

وخلت إلى المستشفى باقات الزهر العديدة، ورسائل التعاطف، لكن داليا

لم تكن تعي هذه الأمور، إنما تخلق في الأمكنة الغامضة التي يعرفها الأطباء

حيث ولكنهم عاجزون عن الدخول إلى هناك، حيث لا شيء حقيقي أو واقعي.

حسبه بما هو بين الحياة والموت.

وخلال خمسة أيام وست ليالي، ظلت روح الفتاة الشجاعة متعلقة بجسمها

محموق. وفي اليوم السادس، بدت الحياة تنطفئ من قبضتها ورأها الأطباء

ممرضات تفرق في غيبوبة عميقة.

وفي منتصف الليل، رن الهاتف في منزل آل سميث، إذ طلبت منهم إدارة

مشفى الحضور في الحال.

وحتى وصولهم، وجدوا داليا قد استقرت وعيها لكنها كانت في ضعف

جيب، وشحوب وبياض يلون شراشف سريرها. حاولت العمة أن تكبت دموعها

لكنها انهمرت على وجه زوجها، وأسكت هيلين بيد أختها الشفافة، ومن دون

جد، انطلقت الأصابع على أصابع داليا والعيان الشاحبتان يداناً تبحثان في

سحب الخافت على وجه محبوب، ثم انخفضتا على يد هيلين، لهماست داليا.

حين خاتم الخطبة.

«مخرج من طوني، يا حبيبتي، هل هذا ما تريدته».

«طوني... ولن نتزوج من بيتر».

«كلا...».

الدموع غطت عيني هيلين التي كانت تجد صعوبة كبيرة في الكلام،

لكنها قالت:

«معك حق، يا داليا، لم أحبه أبداً ولذلك لن أتزوج».

«بيتر المسكين... هذا الرجل الوحيد».

أغضت داليا عينيها، وبدأت تغيب عن هذه الغرفة وعن كل ما يحيط بها. كانت بالكاد تسمع نجياً مختلط بصوت آخر. وذكرى سيارة متوجهة نحوها. وأصبح نور الضوء بجانب سريرها، فتوتين ميازة، ثم الغطاء الأبيض وبساط الثلج، حيث سقطت داليا.

RED ROUS

«أخبر أنها تستعيد وعيها، يا دكتور».

لمحى الرجل في اللباس الأبيض فوق داليا بينما كانت تستعيد وعيها. كانت أشعة الشمس تضئ رأس الممرضة المعتمة قبعة بيضاء والواقفة في الجهة الثانية من السرير.

هلت صورة الطبيب فترة مشوشة، غير واضحة، شيئاً فشيئاً توضحت تفاصيل وتعرفت داليا إلى الوجه الذي سبق وشاهدته في شكل متقطع خلال أيام وليالي متواصلة.

لقد الطبيب

«نحن يمكننا القول أنك كنت جيداً».

«مر الوقت صباحاً...»

«صباح جميل ومشمس، الرابع من آب / أغسطس».

«دعنا نرأها»

«الرابع من آب / أغسطس».

ثم أزاحت نظرها عنه ونظرت صوب نافذة الغرفة حيث كانت العصفور ترفرف

وراءها، وأضافت تقول:

«هذا أجل زقزقة العصفور...»

أعلنها الجراح قائلاً:

«تحت الغائلة، شجرة صنوبر من أصل اسكتلندي، وفيها أعشاش عصافير كثيرة».

«استد طفولتي وأنا أحب العصافير، لقد حلت حلاً غريباً هذه الليلة، جاء صديق لي وروني، كان الثلج يتساقط».

سألها الدكتور: «وبستوري، وهو يتسم».

«أهل هو الحبيب».

«آه، لا، لم... لم أكن تلك المرأة التي أحبها».

وفي الأيام التالية تحسنت صحة داليا، وتوطدت غري الصداقة بينها وبين الدكتور وارد وبستوري، إنه اسكتلندي خجول، لكنه جراح ناجح، فقد أوكلمها إلى الممرضة موران، المدركة الطبية المشهورة، وهي أميركية الجنسية، شابة تقوم بتدريب خاص مدته سنان في المستشفيات البريطانية، كانت مريحة ودائماً في مزاج طيب، نضرة، شقراء ذات صوت مبجوح، تحب المزاج والتسلية بشكل دائم.

ومهمة غري سيدا موران أن تقوي عضلات ساني داليا، تلك القوة التي فقدتها خلال العملية الجراحية الدقيقة التي أجريت لها في سلسلة الظهور وقد شرح الدكتور وبستوري لداليا أن عليها أن تتحلّى بالصبر الطويل لأنها في حاجة إلى تدليك وغاريين قبل أن تتمكن من المشي، والغاريين اليومية التي ستقوم بها بواسطة المدركة الطبية يجب أن تستمر إلى ما بعد مغادرتها المستشفى، واقترب موعد الذهاب إلى المنزل... وهذا ما كانت تمناء داليا في صفة، لكن هناك ظل وحيد لم يتعد عن أفكار داليا.

يوم الأربعاء، وضعتها الممرضة في كرسي تقال وأخرجتها إلى الحديقة لتتحدث

مع الحقيقة، تحت نور الشمس الساطعة، كانت الفترة بعد الظهور وكان الطقس رائعاً ودافئاً رغم أن أيلول / سبتمبر هو شهر بارد إجمالاً.

صت داليا:

«يحكى التصديق بأنني أمضيت وقتاً طويلاً في المستشفى، كان أشياء عديدة».

تأملت داليا أختها بخان، كانت تضع بقربها سلة كبيرة وترتدي تنورة مكبرة بيضاء وسترة حمراء، شعرها الأسود اللين مرفوع بشكل كمكة إلى الزوايا، وقام ذهبي رفيع ونحس سوليتير صغير يلعبان في يدها اليسرى، وهما يحتفظان كلياً عن الزمردة الضخمة التي كانت تلمع كلياً حركت هيلين يدها، تبع هيلين نظرات أختها الصغيرة وداعيت في خان حبة الماس الصغيرة في الخاتم الذي أهدها طوني إليها وقالت:

«هناك أشياء كثيرة حصلت، كنت أعيش في جحيم ثم وجدت جنة لم أكن أمل في اكتشافها هنا في لاوتون».

قالت داليا وهي تنظر إلى جمال أختها المختلف، جمال امرأة عاشقة مشرقة.

«زوجك من طوني، يليق بك كثيراً».

في هذه اللحظة مرت سحابة أمام الشمس وارتفعت داليا، وقبضت يدها على الغطاء الموضوع على ركبتها، وتساءلت فيما إذا كانت ذكرى بيتر تعود من وقت إلى آخر لتبهذ سعادة هيلين، إنه موضوع لم يطرأه أبداً، وفجأة قالت داليا:

«لا شك أن بيتر شعر بأنك كبير عندما قلت له أنك غير قادرة على الزواج منه».

تأملت هيلين سكاراً وأشعلتها في يد مرهقة، وقالت:

«إنه إنسان مفقد ولا يعبر عن حقيقة شعوره فأجاني مع طوني مساء الحادث، يا داليا، هنا على هذا المقعد بالذات، كنت مضطربة وقلقة جداً عليك... ولم أجد إلا طوني لأشكره بخافق. وحينذاك أدركت أنني غير قادرة على الزواج من بيتر».

«هل قلت له كل ما كنت تشعرين به؟»

«نعم، لو حصل ما حصل في ظروف أخرى، لما كان راعي شعوري بهذه السهولة، لكن الجميع كانوا قلقين عليك. حتى بيتر نفسه كان قلقاً للغاية واقترح على طوني أن يتزوجني بسرعة، قال: ليس للجميع فرصة أخرى، ثم ابتعد في الليل... مثل صبي صغير محزق يريد أن يبقى وحيداً مع عذاباته».

ضغطت يدا داليا على الغطاء لكن هيلين لم تلاحظ شيئاً، وثابتت تقول:

«هناك دائماً إنسان عليه أن يتألم، لكن بيتر رجل قوي وسينسى، إنني متأكدة من ذلك، يا داليا».

«نعم...»

خفت داليا عينها خشية إظهار مخاوفها وآلامها. عاد بيتر إلى أفريقيا الجنوبية قبل ثلاثة أسابيع، انتقل الطائرة بعد أيام من إجراء العملية، ابتعد عن حياتها، لكنه لم يتعد عن أفكارها، وخاصة عن أنكلر داليا كل يوم، كل ساعة، تفكر فيه. وفي أحد مراحل مرضها خطيرة، كان معها... في الحلم.

أضافت هيلين تقول:

«أرادني أن أحتفظ بجميع البدايات التي قدمها إلي، لكنني فكرت أن ذلك غير لائق بالنسبة إلى طوني، فأنا الآن زوجة طبيب ريفي وسأكون عرصة للأقارب إذا شاهدني مرضاء استوفى في مختلف القروا».

فجست داليا في جهد وسألها:

«هل يروق لك أن تصبحي ربة منزل؟»

«نالت هيلين في ضحكة صغيرة خجولة:

«بدأت أعود على ذلك، شقتنا بدأت تبدو جميلة أفتنى أن تزورها قريباً، إنها تقع قرب عبادة والدته، والدة يتناول العشاء معنا مرتين في الأسبوع، إنه رجل محب ويؤكد لي أن طبعي رائع، لكن على التعلم بأن أصنع له طعامه المفضل المؤلف من العجين واللحم الذي يحبه كثيراً».

ضحكت داليا لهذا التغير الملموس لدى هيلين وتصورتها وهي ترتدي حرجلاً وتظهر لزوجها والدة.

«هل يحب طوني الوجبات الغريبة التي تطبخينها له؟»

«لله بكاء يأكل أصابعه مع الأكل».

لمعت عينا هيلين، لكنها رمت بقايا سيكارتها وأمسكت يدي داليا بالبروتين والشاحيتين.

«إنني سعيدة جداً لأنك في بحسن، لقد تصورنا أن كل شيء انتهى، ذلك المساء يوم الحادث كان المطر ينهمر بقوة وكان بيتر مبللاً عندما وصل إلى المستشفى، فطقت سيارته على الطريق ولم يكن قادراً على إيجاد سيارة تاكسي، فاضطر إلى التمسك الطريق ركضاً، الغريب في الأمر أنني لم أعرف كيف علم بالخبر، لكنه لما وصل، أبعد عنه الممرضة التي أرادت منعه من الدخول، ودخل إلى الجناح حيث كنا رغم اعتراض العاملين هنا قريب... خيل إلي أن حيوانه تنفث وتنتشر، تنفث وتبعث فيك الحياة وتنشطك... ثم عندما أعلن الطبيب أنك تنامين بصورة طبيعية وبدأ خدائك يتلونان، خرج من دون ضجة، يا داليا، لم تلاحظه، خرجاً جداً عندما سمعت الدكتور وارد وستوري يعلن أنك نجوت من

الموت».

رأى صمت بين الشقيقتين، وحلت مكانه زرققة العصفير. أخيراً همست داليا تقول:

«كنت أعتقد أن ما حصل لي لم يكن سوى حلم كنت أرى المطر والثلج، على وجهي».

قالت هيلين وهي تحني لتقبل وجه داليا النحيل والشاحب:

«نعم، كان مملاً. لكن الآن، كل الأشياء على ما يرام بالنسبة إلينا جميعاً».

لم تعارض داليا كلامها. نظرت إلى شقيقتها وهي تمشي في خطوات سريعة في الحديقة متوجهة إلى منزلها الجديد وإلى زوجها.

كل شيء على ما يرام بالنسبة إلى هيلين، لكن حزناً ثقيلًا يحتاج داليا، الجالسة وحدها على كرسي تقال تفكر بما قالته أختها، إذن لم تكن تعلم، بيتر كان بجانبها، ليلة الحادث... أرادت أن تعيش لأنه كان موجوداً، لأنه ضمهها بين ذراعيه ومحتها القوة اللازمة لتعيش.

والآن هو بعيد وقد وعدا بإرسال باقة ورد باللون الوردي وبعض الألعاب اللينة التي يمكنها أن تتسلل بها، وشوكولاته سويسرية، وعلبة موسيقى قديمة تعزف لمناً خفيفاً كلما نحت الغطاء، وطيور من زجاج شبيه بالذي قلعه مرة إليها، أحببت هذه الهدايا... وكبرتها... إنها تريد بيتر ولا شيء آخر.

منجذب يتسلق شجرة قريبة منها ثم يعود إلى العشب باحثاً عن بللولة سقطت من الشجرة. هنا وجد بيتر هيلين مع طونتي... وبعد أيام من هذا الحادث، أمضى على سرير داليا أسوأ ليلة في حياتها، صوته الدافئ، الخفيض والوئور جعلها بقوة تتشبث بالحياة وهي تعرف الآن أنه سيظل قريباً في أحلامها حتى ولو لم تراه بعد الآن.

سبحه في أحلامها... وعليها أن تكتمني بذلك.

سعت خطوات قريبة لرفعت نظرها ورأت الدكتور وارد وسفوري يقرب منها، ويداء في جيبي مربيولة الأبيض وشعره الناري يلعب تحت أشعة الشمس. توقف أمام مقعدها وأبشع لها لثلاً:

«حرباً يحين موعد الشاي، هل تريدان أن أتفلك إلى الداخل؟»

قالت في مزاح:

«سأركض».

وعدها قائلاً:

«سأنتي ذلك اليوم قريباً».

لما يتحدثان معاً في حبة، بينما كان يجرها نحو أبنية المستشفى، سألتها:

«كم أحتاج إلى وقت كي أتمكن من المشي؟»

رأى صمت وهما يدخلان إلى قاعة المستشفى تاركين الشمس وراءهما. أخيراً

قال:

«أعصاب العمود الفقري أصيبت بأضرار شديدة، يا ابنتي، ولن تستعيد حالتها في سرعة. لكنك فتاة شجاعة وإني أتكلم على صيرك الطويل».

لها مسألة أسابيع، يا دكتور... أو أشهر؟»

قلت: إلى الزواء لثراء وهو يدفع الكرسي إلى المصعد ويتكئ على الزر.

طلب حاجبه الناريين العريضين وراح يتفحصها في هنوء، ولم يرد على سؤالها

«عصاً وصلنا إلى غرفتها».

هل أنت قلقة على وظفك؟»

فهم

«هذه لك من فتاة مستقلة».

ابستم وجه الكرسي إلى مكان مشمس قرب النافذة. فقالت:
«لا أحب أن يعطيني أحد»

أنحنى وارد وستوري ووضع يداً على صدر الكرسي واليد الأخرى على
كتفها وقال:

«إذا كنت تعتقدين أنك ستظلين طيلة حياتك مسخرة على هذا الكرسي، فأرجو أن
تطردى هذه الفكرة من رأسك استعشرين مع الوقت، وإني متأكد تماماً من أن
عندك وعملك الرائع، ليسا مهتمين بالناحية المادية من المشكلة. إنها صعبان
لأنك... فإذا أنت صاحبة اليوم، أجمالاً أنت أفضل مريض لدي، والياهي بك أمام
الجميع بصورة دائمة»

«إني... أني قلقة قليلاً لعودتي إلى المنزل غداً الجمعة، يبدو لي أنني سألتفدك
أنت الذي أنقذت حياتي يا دكتور وستوري»

«أنت التي قاومت جاعدة لتعيشي، من دون مساعدتي، أرجو أن تصدتي ما أقوله.
إني أقترح عندما أستع من المريضات الجميلات أنهن لا يمكنهن الاستغناء عني،
لكنني أعرف جيداً أنك ستديرين أمورك قادمة»

دخلت المساعدة حاملة صينية عليها الشاي وسندريشات وعلوى. فاختار
الطبيب سندويشاً بالخيار وبينما كان يتحدث عن أمور كثيرة، تناول كتاباً عن
طاولة داليا وفتحته وراح يقرأ بعض المقاطع الشعرية. ثم التفت نحو داليا
وحذق فيها بعينيه الزرقاوين وهمس يقول:

«ماكاي شاعر شغوف»

«نعم...»

تأمل برهة وجهها الحفيف وعينيهما الواسعتين ووجنتيهما المجورتين وشفتيهما
المتفتحين، ثم أعاد نظره إلى الكتاب الصغير وقال:

أبستم يدياً في الشعر، لكنني أجد جمالاً في هذه الأبيات... كأنها كتبت لمن أحب
بعضاً. ثم أضاع هذا الحب»

قالت داليا وقلبها يخفق بسرعة هائلة:

«إني أشتق أزيك ماكاي منذ زمن بعيد كنت أقرأ له عندما كنت في
الغرفة من دون أن أفهم ما يعني ما يكتب. لا شك أنه لقي نجاحاً كبيراً وسجراً
بعضاً تجاه النساء»

«الفرح ساعراً»

«سألا، كنت سوى دب كبير تجاه النساء، إلا عندما يستسلمن في غرفة
الغرفة»

«أبستم داليا وهي تنظر إليه مطولاً، لم يكن جيلاً، لكن لا تنقصه
حانية»

«قلت»

«إني متأكد من أنك حققت بعض الانتصارات يا دكتور»

«نعم لكن في حزن وقال»

«كنت هناك ثلاثة... من زمان بعيد، كنا معاً في الجامعة... تدعى مارجري، ثم
أبستم بالمثل الذي أثر على رتيها وماتت»

«لقد قليلاً ليأخذ فترة عميقة ثم أضاف في صوت خفيض

«في اليوم، ما زلت أرفض التسليم بأنها ماتت. عندما أراها في أحلامي،
أستط لأجد نفسي وحيداً. نظل متعطشين عندما نتغذى من الأحلام...»

يخرج كتبه وراحت داليا تنظر من النافذة، متسائلة ما إذا كان وارد
يسري يعرف سرها. لقد عالجه منذ الحادث إلى اليوم، ولا شك أنها متأثر
بالجراح والمسكات، تلفظت بأسم معين. مطالبة بالرجل الذي كاد يتزوج من

أختها

تنفت الصعداء وراحت أفكارها تخلق نحو بلاد بعيدة، إلى حيث عاد بيتر الذي لم يكن قادراً على تحمل البقاء هنا بعد الذي حدث. لا شك أنه أحب هيلين، لكن داليا تعرف أن الحياة ليست سوى صحراء مؤلمة في غياب صوت الحبيب، الذي يلفظ أسبك ويجعلك ترتعش جأً. والتقطت كتاب الشعر وقصته وقرأت.

«علمتني الحياة أن السعادة قاسية».

«إنها أمل فرائشة، حطمتنا أحتجتها».

وفي صباح اليوم التالي، بينما كانت غريسيدا تدلك ساقى داليا، عرفت هذه الأخيرة أن الفتاة الأميركية الشقراء مسحورة بفاري كوتراي. وعلى الطاولة قرب خزير داليا، كان الراديو يبث لحناً من تأليف غاري «رقصة الجبل» بدلاً غرفة المستشفى. توقفت يدا غريسيدا. القويتان عن تدليك ساق الفتاة الأيسر وهستا في صوت حالم.

«إن موسيقى غاري ساحرة حقاً».

وغريسيدا فتاة أميركية جريئة، ترتدي الملابس الأنثوية وتبدو قاسية بعض الشيء لمن لا يعرفها جيداً. لقد راحت داليا بأن لديها عدة أصدقاء، لكنها لا تربط مع أحد منهم بعلاقة جدية وكانت تقول: أريد أن أقع في الغرام في جنون يوماً من الأيام، لكنني في الوقت الحاضر أحاول أن أتسلق وراحت تتسم مع لحن الأوركسترا ثم قالت في ابتسامة وهي تستعيد التدليك في حيوية.

«غاري رجل موهوب حقاً، وحظك كبير لأنك تعرفت إليه. وقريباً سأجعلك تفنن وتستعدين لأن تسبحي في مياه نهر العسل مع هذا الشاب اللطيف. اعتقد أن ضلالات نياغارا هي المكان المفضل لرحلة نهر العسل... يكفي أن تري

أوران قوس قزح. كنت أعشقتها عندما كنت صغيرة وكنت أتساءل دائماً ما إذا

كنت هناك حقيقة مليئة بالذهب تنتظرنني في قوس قزح.

سألته داليا ضاحكة بينما كانت المدلكة تساعد على ارتداء سروالها:

«غريسي، هل في عائلتك دم أيرلندي؟»

«الأساطير الأيرلندية؟ جدي أيرلندي. هل هذا ما تريد من معرفته؟»

«سكن تأكيد».

وفي سهرة، وضعت داليا قدميها على الأرض ووقفت تساعد غريسي

على ذلك. وبعد لحظات كانت داليا جالسة على الكرسي وهي تشعر بوخز في

قدميها بسبب التدليك.

سألته غريسيدا وهي تضع وراء ظهرها وسادة صغيرة لتهدئة آلام الكلي

«هل تألم منها؟ داليا باستمرار».

«كيف تشعرين؟»

«في مرتاحة. أنت صديقة رائعة يا غريسي».

أجابته غريسيدا وهي تلقي نظرة إلى ساعة يدها:

«كنت لا بأس بك، يا داليا، ما زال عيني وقت لأدخن سيكارة قبل أن أثقل

في حريضة ثانية. هل تدخين سيكارة معي؟»

«إنها سيكارة أميركية وقد دعت داليا من طول هذه السكائر فقالت

غريسي:

«في بلادى، كل شيء طويل الماني، الشباب، السكائر وفي الماضي كنت أخرج

مع لاصي ركي، طوله متران تقريباً. إنني أحب الرجال المشوقين، إذ يبدو لي أنهم

صغار ومن دون دفاع».

حست المدلكة على طرف السرير وشيكت ساقها الطويلتين ببعضها.

وسألت داليا:

«هل تشعرين بالضطراب لأنك عائدة إلى المنزل في الغد؟»

«قليلاً. أنا سعيدة لأنني سأبقى بين يديك وقتاً أطول. ليس لأنك تقوين قدمي فقط بل لأنك ترفعين معنوياتي أيضاً.»

«الفتاة العاشقة ليست في حاجة إلى رفع معنوياتها، خاصة عندما تعرف أن حبها يتعلق بها حتى الجنون. إن غاري يعامل بقية الفتيات مثل أخواته. كانت غريسيلا تتكلم في حقة، لكن عينيها فقدتا رونقهما الطبيعي، وتساءلت داليا إلى أي درجة يسحرها غاري ويحبها... ثم ضحكت عندما قالت المدللة الأميركية:

«أه، هل تعرفين ماذا أريد في هذه اللحظة. أريد صندوقاً خشبياً من طم البحر وكيس الحيار.»

«لا يمكنك أن أقدم لك شيئاً من هذا. لكن عندي بعض الشوكولاته. إنها في الجارور الصغير داخل الخزائن.»

«أه، إنني أحب الشوكولاته السويسرية.»

أسرعت غريسيلا وفتحت الجارور وناولت العلبة الكبيرة المدورة ووضعت في فيها قطعة شوكولاته داخل حبة كرز وقالت:

«أه، ما أطيبها.»

«خذني منها ما تشائين.»

«إنها شوكولاته غالية الثمن، ولن أقدم لك أحد مثلاً في الوقت القريب. سأخذ واحدة ثانية. من أهداك هذه العلبة؟ لا شك أنه رجل غني وحنون؟»

«الرجل الذي كان من المقروض أن تتزوج منه أختي.»

«الملياردير الأيرلندي؟ سمعت المحرمات يتكلمن عنه، إنه شاب طويل أنمر، ذو

عينين خضراوين. أليس كذلك؟ لا شك أن أختك الجميلة كانت مفرمة حتى

الجنون بطبيعتها الشاب لتتخلى من أجله عن هذا الملياردير الأيرلندي.»

«أحب أهم من المال. ألا تعتقدين أن ذلك صحيح، يا غريسي؟»

«الحب شيء غريب. إنه انفجار كبير في القلب، يدمرك ويبتيك من جديد. تصبحين إنساناً آخر الأشياء التي تريدها قبل أن تقع في الحب ليست أبداً الأمور نفسها التي ترغب فيها بعد الانفجار... هل تعتقدين أنني أتكلم مثل ممثلة في فيلم أميركي قديم؟»

«تكللين لي صدق، يا غريسي. وكلامك صحيح. وشقيقتي هي الدليل...»

في هذه اللحظة غيرت داليا جلستها وصرخت من الألم. أسرعت غريسيلا نحوها وسألتها:

«ما زلت تشعرين بالألم في الظهر؟ أنت في حاجة إلى كرسي قلاب. وسأحدث الطبيب بذلك. التآرجع علاج جيد لأوجاع الظهر لكن علينا أن نجد لك كرسيّاً قلاباً في هذه المدينة الصغيرة القديمة.»

وتذكرت داليا آل رنن، أصدقاء بيتر الذين تعرفت اليهم في فيللا. بسري وقالت:

«أعرف أناساً يمكنهم محلاً للتعب القديمة في مدينة هوف. سأصل هاتفياً بهم وأحث منهم أن يديروا لي كرسيّاً قلاباً.»

«سأحسن... والآن هل تشعرين بتحسن؟»

«أه، أحسن بكثير مما كنت عليه.»

«أه، عيني عظمي، يا حبيبتي. وسيزول الألم نهائياً مع مرور الوقت. لكنني سأخوف للرجل الناري إن الكرسي القلاب يظلف لك ألأم الظهر.»

«هل تعرف أنك تلقينته بالرجل الناري؟ ألا يغضب؟»

«ولماذا يفضي به رأسه جميل يشعره الناري. يا للأسف أن رجلاً مثله لم يتزوج.
أنا متأكدة من أنه لو تزوج فسيكون زوجاً جيداً.
«لقد أحب فتاة، لكنها ماتت، هذا سرّ بيننا، يا غريمي».
«هكذا إذن تشبهان الأسيرة يقال إنه غامض ولا يبرح بشيء لأحد. لا شك أنك
سحرته بعينيك اليراقين ولم يتمكن من مقاومتها».
«حقاً»

«لا، إيرلندية وأنا الآن على الاسراج، فقد حان وقت المريضة الثانية، إلى اللقاء، يا
عزيزتي»

وما أن غادرت غريمي غرفتها حتى اتصلت داليا بالسيدة ونثون
التي فوجئت لدى سماع صوتها وقالت:
«كيف حالك الآن، يا داليا»

كانت تريد أن تعرف في الحال عن تحسين حالتها وأكدت لها أن في أمكانها أن
تؤمن لها كرسيّاً قلاباً صغيراً ومريحاً.

ثم رأت الصمت وفهمت داليا أن السيدة ونثون تريد التحدث عن
بيتر لكنها لم تجرؤ على ذلك، فأسرعت داليا في السؤال عما إذا كان السيد
ونثون سمع أشياء عن بيتر.

«نعم، يا ابنتي، لقد كتب لنا يقول إن لديه مشاكل في إحدى المزارع، لم يستطع
حلها بسرعة، أنت تعرفين بيتر، يا لهذا الرجل المسكين، أنه حزين جداً بعد فسخ
الخطبة، وعندما يكون الإنسان حزيباً وتعباً، فمن الأفضل أن يتجهك في أعماله
لعله ينسى، لكن...»

سألها داليا وهي تنظر في حنين إلى العصفور القارذ جناحيه استعداداً
للطيران، وهو هدية بيتر الزداعية.

«نعم، ماذا هناك يا سيدة ونثون»

«أرجو أن يبقى الحديث بيننا، يا داليا، أعتقد أن بيتر في حاجة إلى شخص
يجعله يسترخي معه، ليس من السهل أن يكون الواحد محركاً فعالاً لمؤسسة
شخصية، وقد لاحظت أنا وزوجي سام إنه كان متوتراً عندما جاء للعضاء قبل
سفره إلى أفريقيا، في صراحة، أعتقد أنه كان يريد الهرب».

صرخت داليا في نفسها: أه، يا بيتر كم أنا حزينة من أجلك، أنت الرجل
القوي، الوثاق من نفسه، الهارب من أجل منزل في الجبل، من البلدة الصغيرة
حيث تعيش تلك التي أخذت قلبه، ثم تخلت عنه
فوجئت السيدة ونثون من هذا الصمت وقالت:

«داليا! هل ما زلت على الخط»

«نعم... كنت أفكر في بيتر»

«لا ينبغي أن تقلقي عليه، يا فتاتي، سيغلب على أحزانه، ثم يفتش عن فتاة
أخرى».

«هل تعتقدين أنه سيعود يوماً ما إلى انكلترا»

«لا أعرف، لقد عين لكبيه اللدني مديراً كبيراً، وهو يشعر بسعادة أكثر عندما
يعمل في مزارعه في أفريقيا، داليا، كيف أحوال هيلين»

«جها سعيدة... جداً إنني... إنني أسفة من أجل بيتر، لكني أعتقد أن ذلك أفضل
لهم من أن يتزوج من فتاة لا تحبه...»

«لماذا أتفق معك في هذا، ولماذا عما قريب أن يلتقي بقناة تحبه لأنه يستحق
...»

وقفت لحظة ثم أكملت:

«صراحة، لقد تعرف بيتر إلى كثير من النساء، وبعضهن أحبه كثيراً وفي

أخلاص، لكنه رجل... لا أجد الكلمات المناسبة، حياة، حب، هل تفهمين ما أقوله؟ إذا كانت هيلين ذات أهمية كبيرة بالنسبة إليه، فلن يقل بأمرأة أقل شأنًا.

هذه الكلمات ضربت قلب داليا مثل سهم يارد. لا يمكنها أن تتصور بيت، يعيش من الذكريات، يعود كل مساء إلى المنزل حيث لا تنتظره أي امرأة عاشقة وتستقبله في ابتسامة وفي قبلة...

RED ROUS

احتفلت هيلين وزوجها بعودة داليا من المستشفى في حفلة عشاء في منزل العروسين.

وأعجبت داليا بشقة أختها الصغيرة واللطيفة، الصالون العصري يليق شخصية هيلين، بمقاعد المنخفضة وسجائده الليمونية وستارة المزركشة.

وبعد العشاء، أجلسها صهرها الطيب بين الأرائك على مقعد بشكل نصف سر وابتسمت هيلين فرحاً وهي تقدم القهوة وقالت لداليا:

«يجبني شعرك الطويل المرفوع، يجب أن تحافظي على هذه المشريحة. سأحفظها حتى أعود إلى الصل. الشعر الطويل يزغني عندما أمشي معظمي بحر أمام الآلة الكاتبة. صالونك أعجبنى يا هيلين، إنه عصري وثاق في الوقت نفسه».

سأراك باللوحات المرسومة؟ اشتريتها خلال رحلة شهر العسل بسعر رخيص، صنع طوني إطاراً مصنوعاً من خشب الأثاث نفسه.

صحت هيلين إلى زوجها في أعجاب، كأنها لا تصدق العناية التي اكتسبتها في حياتها مع هذا الرجل الهادئ الذي لن يعكر صفو حياتها. مثل والدتها ولا يريد إلا مساعدة مرضاه في هذه المدينة الصغيرة الرائعة.

مرات داليا بعض الهدايا التي أرسلت للعروسين بمناسبة زواجهما، وبينها

١٠ - لا تتركني بعد اليوم

مجموعة من الخرز أرسلها بيبي فهميت داليا تقول:

«هذا لطف منك... إني... إني أسفة لأنه لم يأت إلى المستشفى ليودعني».

تبي ما في صبرها جعل هيلين ترفع رأسها فجأة وراحت تتفحص وجه

داليا وشعرها الكستاني الذهبي. فانتفض قلب داليا... كادت تفضح نفسها!

فأضابت جاهدة في طجة عادية قدر الامكان:

«كنا دائماً متفقين في الآراء. كنت أتمنى لو تمكنت من وداعه قبل رحيله».

«ذهب فجأة من دون أن يكلم أحداً. كنت آمل أن تحضري غاري معك.

الليلة. أنت وهو... هل ما زلتا متحبين؟»

«طبعاً. لكنه لم يحضر لأتفاله في بعض التسجيلات».

«غاري مناسب لك، يا داليا».

«نعم. أعرف ذلك جيداً».

«تخمينه. أليس كذلك؟»

«هيلين...»

«داليا، لقد تعديت كثيراً ولا أريد أن...»

رفعت داليا يدها فجأة وأمسكت يد شقيقتها. تتوسل إليها ألا تكمل

كلامها. فصرخت تقول:

«أه. أنظري. هذا البرنامج أجيد. دعيني أراه من فضلك».

التفت الحنة سوزان نحوها وتبعتها قائلة:

«إن مدته نصف ساعة وبعدها إلى الفراش. يا صغيرتي».

وعندما حان وقت الذهاب، ضغطت هيلين في شدة على ذراعي داليا

كأنها تتوسل إليها في صمت وتقول: إني... بيتر الجميع يعرفون إني أنا من

حب

وخلال الأيام التالية كانت غريسيدا تأتي كل صباح إلى منزل سيث

تشرم بتدليك ساقي داليا. وغالباً ما كانت تلتقي بغاري الذي لم يفارق

داليا لحظة. وفي أحد الأيام دعا الفتاتين إلى قضاء يوم الأحد في فيللا بلفدير.

فالطقت جيل مما يسمح باستعمال حوض السباحة. وأعلنت غريسيدا أن

السباحة أفضل رياضة لعضلات داليا.

اتسمت داليا وهي ترى تعبير وجه المدللة الشابة التي فرحت لفكرة قضاء

يوم بكامله برفقة غاري.

جاء غاري وأخذ داليا صباح الأحد باكراً في سيارته التي كانت تسير في

الجبل تحت أشعة الشمس الصباحية.

«يا إلهي. يا داليا، كم هو جميل أن أراك من جديد قربي في السيارة. والآن أنا

نعم لأننا لن نكون وحدنا طيلة النهار».

«يا إلهي يا غاري، أنت تعرف أنك تحب غيبرني وتحترمها. إنها فتاة رائعة

وحيلة».

«نعم لا أحب الفتيات الشراوات. المشكلة هي أنني لا أستطيع أن أغازلك كما

أريد أمام إنسان آخر».

«لغري».

«لا تصغني. يا داليا. هل لاحظت أن أسابيع عديدة مرت من دون أن أراك حين

خرجت أو أعانقك؟»

أجاب غاري السيارة في طريق فرعية والتفت نحوها. وأمسك يدها ثم

طوى خصرها وهنس يقول:

«منذ أسابيع طويلة، لم...»

تركته يعاقبها، لا ينبغي أن تغضب له تهازؤ، لكن قريباً، عليها أن تصرح له بأنها لن تتزوج منه قريباً وليس الآن... ولا اليوم...»

«أنت ترغيفين، هل تشعرين بألم من ضحني؟»

«كلا، لكن لذهب من فضلك».

«يا داليا المسكينة، تأملت كثيراً، أليس كذلك؟ عندما ينظر إليك أحد يظن إليه أن نسته الخفيفة في إمكانها أن تحطيك».

وطبع على خدها قيلة صغيرة ثم أفلح بسيارته وأخذ طريق الجبل، كان الهواء

متعشاً والريح الآتية من البحر تحمل معها رائحة اليود وتلعب في شعر داليا

المتطاير على وجهها، ومن بعيد أجنحة طاحونة تذكر داليا بالطاحونة التي

جأت إليها مع بيتر في ذلك اليوم العاصف، يومها، الصاعقة والبرق والرعد

كلها تدوي في السماء وهي جأت إلى ذراعي بيتر القويتين اللتين احتضنتاهما

بحل.

«أشعر بقلبك يخفق تحت يدي» هذا ما قاله من دون أن يعرف أنها كانت خائفة

منه وليس من العاصفة.

دخلت سيارة غاري في المعر بسرعة فتطايرت أوراق أشجار الحريق

الزمية على الأرض، ولما توقفت السيارة أمام المدخل، شعرت داليا بأن

بلفديز تبدو دافئة ومضيافة.

فتح دونوفان الباب وقال في ابتسامة عريضة عندما شاهد غاري يحمل

داليا ويدخلها إلى البهو الواسع.

«إنني سعيد بزيارتك، يا أخته، سعيد».

قالت بفرح:

«صباح الخير يا دونوفان، كنت أظن أنك ذهبت إلى أفريقيا الجنوبية مع

السيد شيريدان».

أجاب بعد أن غاب عن وجهه الابتسام:

«نعم، لكن بيتر أرادني أن أبقى هنا للأهتام بالسيد غاري، لكنني مشتاق

جداً إلى أفريقيا الجنوبية، الشتاء هنا على الأبواب وأنا لا أطيع البرد».

تدخل غاري قائلاً:

«لكن اليوم الشمس ساطعة، وستتخلل حوض السباحة، لكن قبل كل شيء،

سنحشي القهوة على الشرفة».

قال دونوفان:

«الفتاة الأخرى وصلت وها هي الآن في حوض السباحة».

حمل غاري داليا إلى الشرفة التي تطل على حوض السباحة حيث كانت

فرسيدا تلهو في بذلة السباحة البيضاء.

صرخت وهي تخرج من الماء:

«صباح الخير، لم أتمكن من أنتظاركم، فيما أن شاهدت حوض السباحة حتى

لحقت فيه، إن الشمس دافئة والماء رائع».

أجاب غاري وهو يضحك:

«حياتاً الطفس الأنكليزي له حسنة».

تعرفها يتدلى منه الماء، وبياض بذلة السباحة يظهر بشرتها المزرقة، وأسنانها

تسبح بين شفتيها الحمراء، إنها حقاً فتاة أميركية في صحة جيدة.

بعض القواعد والكراسي الطويلة المصنوعة من القش كانت موضوعة قرب

حوشي السباحة، فأجلس غاري داليا على إحداها، بينما تمددت غريسيدا على سرير البحر الملون، وصل دونوفان وهو يجلس طاولة عليها القهوة وبعض الصنوشات الصغيرة.

راحوا يجلسون القهوة ويأكلون بشهية ويضحكون تحت مساء زرقاء وعلى ضفاف المياه الياقة، ثم سبحوا وشعرت داليا في ارتياح داخل الماء أفضل من الأرض الصلبة، لكنها سرعان ما تعبت وتمددت على سرير البحر تنظر إلى رقيقها يلتهون في الماء. كانا يخططان، ويلحقان ببعضهما ويتفانقان كرة كبيرة. وقد وجدت داليا، إنها يشجان كلياً ويليقان ببعضهما. وفي لحظة ما، عندما أمسك غاري بيد غريسبي ليأخذ منها الكرة، رأيتها تلمض عينيها كأنها انتشبت بلسنته.

وعرفت داليا تماماً ما كانت غريسيدا تشغله لدى لسة غاري لها. وهناك يريش أمل من ناحية الملكة الأميركية، إذ أن غاري يصي تماماً مدى جاذبية الفتاة، وربما تحول إليها عندما تلبقه داليا بأنها غير قادرة على الزواج منه. الزواج المبني على حب من طرف واحد لا يمكنه أن ينجح. عرفت هذا عندما كانت هيلين مخطوبة لبير.

تناول الثلاثة طعام الغداء في غرفة الطعام ذات الأثاث القديم اللامع. كانت غريسيدا ترتدي ثوباً مزهراً وشعرها الرطب مرفوح إلى الوراء.

قال غاري مازحاً:

«أعتقد أنه لم تكن لي حتى الآن فرصة تناول طعام الغداء برفقة فتاتين جذابتين المنزل نصف ميت من دون نساء يملأنه ضجة وألواناً».

أجابت غريسيدا في ابتسام:

«نقول أشياء لطيفة. رغم أنك انكليزي، كنت اعتقد أن البريطانيين مخطون ولا يعرفون عن شعورهم».

«أنا من بلاد الغال وأني أيرلندي. وقد أمضيت جزءاً كبيراً من حياتي في أيرلندا، برفقة رجل... ألا تعرفين ولي أمري يا غريسبي؟ أليس كذلك؟ يقول أشياء استعجلى عنها أحياناً. داليا قادرة أن تفرك عن بير، هذا الرجل الأيرلندي الرائع».

أجابت داليا هامسة:

«أيرلنديون معروفون بأن نصفهم مقاتلون ونصفهم الآخر شعراء».

قالت غريسبي:

«أمل أن يعود السيد شيريدان يوماً لأتعرف إليه. هذا الرجل ذو الصوت الجميل».

«مع بير لا يمكنك أن تعرفي شيئاً».

«أنا غاري نظرة سريعة إلى داليا وفهمت أنه يفكر بفسخ الخطبة مع هيلين. إذا كان بير قد سألركي يتعد عن هيلين فهذا يعني أنه لن يعود سراً».

بعد الغداء راحوا يسمعون الأسطوانات ويجلسون القهوة وبعدما خرجوا من حيد إلى الشمس.

قال غاري موجهاً حديثه إلى غريسبي:

«سأراك لتلعب بكرة المضرب. هل يمكنك أن تلعب بهذا الفستان...».

«نعم، إن ثورته قصيرة».

«مر تراجعي يا داليا، إذا تركتك ورجعنا تلعب بكرة المضرب».

«لا، أبدأ. أحب أن أتفرج عليكما».

فصتها غاري بين ذراعيه وفتح قبلة وأسرع إلى الملعب.

كانت داليا تشاهد اللعب وهي جالسة في مقعد مريح في الحديقة، ثم أغمضت عينيها وراحت تسمع طرقات الكرة على الأرض والفراشات تدلن في العشب. فجأة، انقضت داليا، إذ اعتقدت أن أحداً يشاهدها.

نظرت حولاً لكنها لم تر أحداً. كان غاري وغريسيلا يربانخان لحظة في طرف الملعب. لكنها كانت متأكدة أن أحداً تكلم. ربما تحلم...

أدارت وجهها نحو السياج ورأت شبحاً قريباً، لمراح قلبها بطرق بقوة. كاد أن يمس عليها. بيتر! إنه هو بلحمه ودمه، ولم يكن ما تصورتته حليماً.

اقترب منها واشتبكت نظراتهما. ظلت صامتة غير قادرة على الأتسام. كل ما كانت تريده هو أن تتأمله وتقرأ عينيها وقلبها من وجوده.

قال ميتسأ:

«صباح الخير. يا داليا، كيف حالك؟»

وقبل أن ترد، صرخ غاري وهو يسرع نحوها ويقتك بيدي بيتر وقال: «أيها المجنون! ألم يكن باستطاعتك إعلاناً؟ يا إلهي كم أنا منور لرؤيتك! ما رأيك بداليا؟ لقد سبحت وقريباً ستمشي ولن تضطر بعد ذلك إلى أن نجرها أو نحملها».

أجاب بيتر:

«آه، آه، مهلاً يا ابني، نعم، داليا تتمتع بصحة جيدة. وأنت، تبدو كأنك تصارعت مع أحد».

ألقي نظرة سريعة نحو غريسيلا التي كانت تنظر إليه في خجل. ابتسمت

داليا وقالت بتعجبها إليه:

«هذا شرف لي أن أعرف إليك، يا آنسة غوران. لن أضطر لأسألك ما إذا كانت

داليا مريضة مطيعة».

أكدت له غريسي وهي تضافعه وتشد على يده الضخمة السمراء:

«إنها أفضلهن، يا سيد ثيريدان، الجميع أحبوها في المستشفى، وخاصة الجراح وارد وستيوري».

«عكفاً إذن؟»

ابتسم بيتر إلى داليا، ثم انحنى وحملها بين ذراعيه واتجه بها إلى الشرفة.

كان قلبها ينبض بسرعة وكانت تأمل ألا يتعب بيتر لذلك.

«أنت مختلفة... آه، إنها تسريحة شعرك شعرك طويل الآن ولا تبهدين كالعقربوسة. وهل أنت نادم على ذلك؟»

كانت يداها حول عنقه وهي تشعر بقربه وتفرق نظرها في عينيها. إنها تتأمل

من جديد ابتسامته الساحرة الجميلة:

«هل كل شيء على ما يرام، يا داليا؟ لا مشاكل؟»

«لا شيء، والحمد لله. يريد الدكتور وستيوري أن استعجل الأمور، لكنني صبري أحياناً، إنني مشتاقة للمشي».

«دكتور وستيوري جراح ماهر وقد اهتم بك في عناية كاملة. وأنا متأكد من أنك ستركضين على الثلج في سهولة خلال الشتاء المقبل».

عزت رأسها ولم يكن في استطاعتها الرد عليه. من الواضح أن تكون معه تحت الصبح، لكن لا شك أنه يقوم بزيارة قصيرة، وسيعود إلى أفريقيا قبل حلول

الشتاء.

«هل فوجئت برؤيتي؟»

«أنا فرحة جداً برؤيتك، هل ستبقى عدة طويلاً؟»

«نسى قائلاً:

«من يدري؟»

ثم رقد بيت الشاعر قائلاً:

«من يذهب أبعد من البحر، يفتر سياء ولا نفسه».

وضعها بيتر على الأريكة في الشرفة وقال لغاري الذي تبعها:

«ستقيم حلاً يا غاري، إذا كانت ذاكرتي لا تخونني، فإن عيد ميلاد داليا

يصادف هذا الشهر أي يوم، يا داليا؟»

«في الثامن والعشرين، لكن لا أريد أن تتعب من أجلي...»

أكد لها قائلاً:

«سندعمر عائلتك وأصدقائك وسنطفيء الشموع فوق قالب الغلوى المغلف بأزوار

الزهر».

سندعمر عائلتها... وهيلين.

ثمالت داليا كأس الليمونادة من يد غاري وراجت تشريبه وتصغى إلى

صوت بيتر الذي كان يتحدث مع غارسيدا عن عمله.

سأله غاري:

«هل هدأت المشاكل في مزرعة بيتروريا، يا بيتر؟»

«نعم، ولذلك جئت إلى هنا وأتيت يا غاري، هل كل شيء على ما يرام؟»

بدأت الشمس تغيب بينما كان الجميع يتحدثون مع بيتر. وبداً الفسق

الحديثة وبدأ الطقس في الانتعاش. ودخل الجميع لتناول العشاء.

أمضت داليا الأسبوع التالي وهي في وضع غريب، سألتها هيلين:

«لماذا عدداً إنه يوقظ من جديد عصبية الجميع».

همست داليا محاولة أن تنسى ما قاله بيتر، إن الإنسان لا يقدر أن يفتر

روحه إذا غيّر السماء.

«لن يبقى طويلاً».

هذا يعني أن عليه أن يرى تلك التي أحب ولو مرة أخيرة.

تكره داليا أن تبقى من دون عمل فالتفت عنها أن يسمح لها بمساعدته في

الأعمال التي يجلبها إلى المنزل. وكانت في مكتبه، بعد ظهر الجمعة، متفلسة في

الحسابات والأرقام، عندما جاء غاري لرؤيتها.

أخبرها أنه يتوي القيام بجولة موسيقية في أميركا الشمالية... ويريد من

داليا أن ترافقه كزوجة، فجلس في زاوية المكتب وراح يتأمل داليا في نظرة

توسلية ويقول:

«أرجوك، قول إنك تقبلين الزواج مني ومرافقتي في جولتي، صحبتك في لحسن

سسر وشأهم بك كما يجب».

نظرت إليه ووجدت الشجاعة لأن تقول له في لطف زائد:

«أسفة يا غاري، إني احترمك وأحبك، لكن ذلك لا يكفي لأن أتزوجك».

«يريدون أن تقول أنك لا تحبيني كفاية؟»

«لا أحبك بما فيه الكفاية لأتزوج منك».

«داليا، سأكون طيباً معك وأجبرك على أن تحبيني جداً».

«لا يمكن لأحد أن يجبرني على أن أحبك، يا غاري، إن الحب يكون في القلب أو

لا يكون، وأريدك أن تفهم من محبك، أنت رجل لطيف وفي حاجة إلى الحصول

على الحب الحقيقي».

وان صمت طويل، أخذ فيه غاري يد داليا ووضعها على شفتيه وقال:
«محاولة الحصول عليك يا داليا كمحاولة سجن الفراشة في النافذة. هناك دائماً
إنسان آخر بيننا. لا، يا حبيبتي، لن أسألك من هو، لكنني أعرف أنه موجود بيننا.
وأعرف أيضاً أن هذا الرجل يحب امرأة أخرى».

لم تتمكن من كبت انتفاضة لصحتها وأحزنت عيني غاري. فتتهدد في عمق
وقال:

«من الصعب علي أن أسألك مستظليين دائماً حوريتي الصغيرة».

دخلت العمة سوزان حاملة حبيبة الشاي تريد سماع الخبر السعيد. لكن
أملها خاب، إذ أن غاري احتس قنجانته وخرج في سرعة وأقلع بسيارته في
جنون.

هستت العمة سوزان في حزن:

«إنه شاب لطيف جداً. والآن بعدما تزوجت هيلين واستقرت مع طوني
الذي تعشقه، اقني لك الشيء نفسه، يا حبيبتي. ويبدو أن غاري يلقى بك،
لكن إذا كنت لا تحبينه، فالأمر يختلف كلياً».

«إنه من غير العدالة أن أتزوج. كنت دائماً تقولين هذا الكلام عن هيلين
عندما أردت الزواج من بيتر».

«نعم، يا داليا. كنت أقول ما كنت أفكر فيه... على فكرة، لماذا عاد بيتر من
أفريقيا؟ لماذا لم يبق هناك بعيداً؟ سيتألم إذا رأى هيلين».

انحنى داليا في سرعة على الأعمال الحسابية التي لم تنته منها ولم ترفع
رأسها إلا بعدما سمعت عمتها تخرج وتصفق باب المكتب وراءها. كانت عيناها

مغروقتين بالدموع ولم تعد قادرة على رؤية شيء.

حلمت كثيراً أن تراه مرة أخرى... الآن تسمى ألا تراه أبداً. إنه من المؤلم أن

يكون قلبها مليئاً بالحب وهي عاجزة أن تهيب لرجل آخر.

في المساء، ذهبت عمتها سوزان وعيها غاري إلى النادي كعادتهما.
وطمأنتهما داليا أنها تشعر بتحسن وينبغي ألا يمنعا نفسيهما من الذهاب إلى
السهرة من أجلها، خاصة وأنه سيتم خلالها انتخاب أجمل الراقصين. وأكدت لها
أن بإمكانها البقاء وحيدة ولا خوف عليها إطلاقاً.

جاء عمتها وعمتها لتوديعها. يرتديان الملابس الأنيقة فقالت لها:

«عليكما أن تالا الجائزة الكبرى».

ودّعها عنها ضاحكاً:

«سنفعل كل جهدنا».

وقالت العمة:

«ولن نتأخر في العودة».

انغلق الباب وراءها. سمعت داليا محرك السيارة وهي تقف تحت المظفر
القوي والرياح الباردة. بعض قطرات تسقط من مدخنة المدفأة وتصرّ لدى سقوطها
على طب النار.

كانت تقرأ في كتاب مثير عندما سمعت جرس الباب يرن، فالتفتت ورفعت
عينها. مقبلة الحاجبين، إذ أنها لم تكن تنتظر أي زيارة في مثل هذا الوقت. ثم
عصت على شفتيها، وخشيت أن يكون غاري قد عاد ليقنعها بالزواج مرة.
رن الجرس من جديد، في إلحاح. لا شك أن الطارق شاهد النور من نافذة قاعة
الاستقبال ولن يرجع إلى الوراء. نهضت واقفة، لأنها في الوقت الحاضر أصبحت

قادرة على التقدم بخطوات قليلة وبالتالي بإمكانها الوصول حتى باب المدخل ولما وصلت إلى الباب كانت تلهث لأنها قامت بجهد كبير ولما فتحتته ورأت بيتر، كادت قدميها تخوران.

فتصكت بمكة الباب لتحقق بالوجه الأسمر وشعره المبلل. دخل وحملها بين ذراعيه وأغلق الباب. وفي قاعة الاستقبال وضعها على الأريكة وظل واقفاً قربها صامتاً فسألته لما تمكنت من الكلام:

«ماذا جرى، يا بيتر؟ تبدو شديد القلق...»

«عُضَّ على شفتيه ثم خلع سترته ورماعاها على المقعد وأضاف:

«المطر ينهر بقوة.»

نظر حوله ووقع نظره على قنينة شراب وكؤوس، موضوعة على الطاولة، فسأله:

«هل تسمحين بأن أسكب لنفسي كأساً؟»

«طبعاً.»

«عليك أن تأخذي معي كأساً، يا داليا.»

كانت تنظر إليه وقلبها ينبض في سرعة وتخوف. تقدم منها ووضع كأس الشراب بين يديها فقالت:

«بيتر...»

«لا أحب أن أعلمك الأخبار السيئة على الهاتف... داليا... وقع لغاري حادث سيارة.»

«أه، لا!»

«انزلت السيارة على الأرض المبللة على بعد كيلومتر من بلغدير. وهو مصاب

بكمز في ساقه وصدمة في الدماغ. وهو الآن في المستشفى حيث كنت.» نظرت داليا إلى بيتر، فاعتره الفم، ثم راحت ترتجف فجلس قربها ووضع ذراعه حول كتفها وقال:

«أعرف أنها صدمة كبيرة، لكن الأطباء أكدوا لي أنه سينجو.»

قالت داليا:

«إنها غلطتي...»

«ماذا، يا داليا؟»

«نعم، قلت له اليوم أنني لن أتزوجه... فكان في حالة توتر شديد عندما غادر...»

«ماذا قلت له؟»

«إنني... أسفة يا بيتر أعرف، أنك مثل الجميع، تريدني أن أتزوج من غاري. لكنني لا أحبه. أعني، أنني لست مفرمة به، ولذلك لا يمكنني أن أتزوجه.»

وضع بيتر يديه حول رأس داليا. وهذا صاحب الوجه. فقالت:

«إنها غلطتي! أنا السبب في حادث غاري...»

جأت وجهها المبلل بالدموع في أحضان بيتر، الذي خسها إليه في شدة وقال:

«لا تبكي، يا ابنتي المسكينة. يكفيك ما شعرت به من آلام. طبعاً، أنت غير مستعدة كما يجب للزواج من غاري...»

صرخت وهي تفلت من قبضته:

«كلا، أرجوك، لست فتاة صغيرة لا تعرف ما تشعر به! لا أعرف إلا ذلك! أنت بتضك سيق وقلت لي إن الإنسان لا يقدر أن يهرب من نفسه!»

حقاً يعني بعضها المسمرين. فلم يسمعا دقات الساعة ولا صوت المطر على التوافد، ولا تصف الرعد.

• **دالیا**

لم يكن في إمكانها التفكير ولم تكن تريد ذلك. وما يجدي أن سألته لماذا يمانعها؟ فهي بين ذراعيه...

«لا يحق لك، أنت مضطربة وأنا...»

«سامعيني، يا داليا، على لحظة الجنون هذه».

دالي

۞ دالیا جیتی... اُنتا حی... ۞

۱۱ پیتر و قلبی

تاج قاتل

«يا طفلتى الحبيبة، هذا جنون ملك».

401

قال وهو يرجع إلى الزيادة

«أعرف أن هيلين هي المرأة التي تريد...»

وَيَا أَيُّهَا

حملها بين ذراعيه وقال:

«لم يكن عندي روح الشباب لأقدم لك. ولا البراءة. ولذلك كان من الأسهل أن أتزوج من هيلين. لكن أنت... منذ اللحظة الأولى التقينا تحت الثلج، لم أكن أريد أن أتركك لحظة. أنت الطفلة، الفتاة الصغيرة ذات العينين الواسعتين والشففتين اللتين لم يقبلها أحد من قبل. يا ابنتي، أنا أحبك الآن، لكن في النهاية سأضطر إلى تركك».

صرحت وهي تتنكب به:

«لا، لا، لا تركني إذا كنت فعلاً محبتي، يا ييترا»

«إني كبير عليك يا ابنتي، وأنا رجل قاسٍ ووقح».

ہست بی حنان

«بيتر، في داخلك صبي إيرلندي أحبه كثيراً. عدت يا بيتر، واعتقدت أنك عائد
لترى هيلين مرة أخيرة. وإذا عدت من أجلي، إذا كنت تحبني، فلا تتركني
أبدًا».

عيسى قاتل:

«سمعتك عندما كنا في بلدك تقولين طيبين أنك تحبين غاري».

أقلت ذلك لأخلص عزة نفسي. كادت تكتشف حقيقة مشاعري تجاهك

واستعملت غاري عذراً. إنه انسان طيب... ولم أكن أريد أن تؤذي به أبداً.
«أنت غير مسؤولة عن الحادث يا حبيبتي. أنزلت السيارة ولحظه انكسرت ساقه
لا يده. وهذا من حظك كفتان كبير لاصع».

قالت داليا في ابتسامة ساخرة:

«أرجو أن توكل مهمة الاعتناء به إلى غير سيدا. ألم تحب هيلين، يا بيترا؟
«كنت وحيداً، يا داليا، والوحدة ليست دائماً ناصجة. وأني سعيد إننا وعيننا
الحقيقة وقسنا الخطبة».

«لكنها قالت لي، إنك، ليلة الخطبة، نظرت إليها بطريقة جعلتها تشعر بأنك
تحبها».

«ربما كانت تشبهك قليلاً في تلك الليلة... داليا، هل تعرفين معنى الحب، عند
الرجل الناضج؟»

خسها بقوة فرفعت عينيها اليراقطين نحوه وقالت:

«لست طفلة يا بيترا. إني أحبك وأريدك أن تحبني...»

ولم تنفقه بشيء لأنه وضع يده على شفتيها وعانقها. وذاب كل شيء... ولم
يبق سوى الوعد يحب دائم.

تمت

RED ROUS